السنة الثامنة عشرة   العدد ١١   تشرين الثاني   ١٩٢٠

المشرق

رسالة دامسطيوس في السياسة

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

اتحفت مجلّة المشرق سابقًا قرّاءها بمقالتين فريدتَين في السياسة لاعظم فلاسفة العرب الواحدة لابي نصر الفارابي نقلناها عن احد مخطوطات مكتبتنا الشرقية والاخرى لابن سينا استنسخها حضرة الاب لويس معلوف من بعض مخطوطات مكتبة ليدن الشهيرة في هولندة ثم طبعناهما في المجموعة الفريدة التي ظهرت في مطبعتنا تحت عنوان «مقالات فلسفية لبعض مشاهير فلاسفة العرب». وهناك مقالة ثالثة في السياسة (ص ٦٠—٦٩) تُنسب الى ارسطاطاليس. وكنّا وقفنا على مقالة رابعة في السياسة لاحد قدماء فلاسفة اليونان منقولة الى العربيّة في نسخة قديمة وصفناها غير مرّة (اطلب المشرق ١٦ [١٩١٣] : ١٧٢) كانت في ملك جناب الاديب جرجس باشا صفا وهي اليوم في عهدة الوجيه احمد باشا تيمور. وهذه المقالة هي الثالثة من المجموع المذكور تُنسب «لدامسطيوس وزير اليان وهو يولياتوس الملك نقلها ابن زرعة من اللغة السريانيّة». كان دامسطيوس (Themistius) خطيبًا يونانيًا شهيرًا نال في القرن الرابع للمسيح مقامًا رفيعًا عند ملوك الرومان فاتّخذهُ يولياتوس المعروف بالجاحد كنديمه واتبعه ثم خدم خلفهُ يوفيانوس وجعلهُ ثاودوسيوس الكبير معلمًا لابنه اركاديوس. توفي دامسطيوس سنة ٣٩٥ م وخلّف عدّة آثار ادبيّة ولكنّنا لم نجد ذكرًا لرسالته هذه في السياسة ولعلّها ضاعت في اليونانيّة. وقد عرّبها احد مشاهير ارباب النقل من السريانيّة اسحاق بن زرعة اليعقوبيّ المتوفّى سنة ٤٤٨هـ (١٠٥٦م). وكان احد المتقدمين في علم المنطق وعلوم الفلسفة والنَّقَلة المُجيدين من اليونانيّة والسريانيّة والظاهر انهُ وجد هذه الرسالة منقولة قبلهُ من اليونانيّة الى السريانيّة فحاول تعريبها. فها نحن ننشرها قبل ان تأخذها يدُ الضياع. هي في الاصل سبعة اوراق من الصفحة ٩٧ الى ١١٠. امّا الملك الذي كتب لهُ دامسطيوس هذه الرسالة فنظنّهُ ثاودوسيوس لانّ ما ورد في مطاوي الرسالة من الثناء على الملك ووصف الاحوال لا ينطبق على يولياتوس بل على ثاودوسيوس والله اعلم

(ص97) بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي

رسالة دامسطيوس وزير اليان وهو يوليانوس الملك في السياسة

نقل ابن زرعة من اللغة السريانية

فاقول ان الله تبارك وتعالى خلق الانسان اكمل الحيوان واتمّهُ وجعل فيه قوى ثلث: القوّة الغاذية ويسمّيها قومٌ الشهوانيّة ويسمّيها آخرون النباتيّة، والقوّة الحيوانيّة، والقوّة الناطقة المميّزة. لانّ الانسان يشارك بالقوّة الغاذية النبات اذ كان في النبات قوّةٌ جاذبة يجذب بها غذاءهُ بعروقهِ من الارض، وقوّة ماسكة يمسك بها الغذاء ويمنعهُ من ان يجري منهُ ويسيل، وقوّة مغيّرة تغيّرهُ وتشبّههُ به، وقوّة دافعة تدفع منهُ ما فضل عن غذائه. ويشارك البهائم في القوّة الحيوانيّة اعني في الحركة الاراديّة والغضب والحسّ والتنفّس فانّ هذه المعاني مشتركة للانسان ولسائر الحيوان وان كانت كلها ليست موجودةً في كلّ حيّ. وهو لهُ القوّة الناطقة التي بها يكون التفكر والفهم وتمييز الاشياء والتماس الفضائل والتقى فينفصل سائر ما في العالم من (98) الحيوان

واذا مال الانسان الى الشهوات الجسيّة واللذّات وانهمك فيها صار مؤثرًا في سيرته كسيرة البهائم وغلّب لنفسٌ جزئيّهِ على افضلها واشرفها اعني البدن على النفس. واذا ارفض (رفض) اللذّات الجسمانيّة كان متأهّلاً سالكاً السبيل التي يرتضيها الله جلّ وعزّ وهي اللائقة بالانسان من طريق ما هو انسان وكان قد غلّب جزءهُ الاشرف على الأدنى اعني النفس على البدن. ومن اجل ان الانسان مصنوع من الاستقصات الأربعة (1 وجب اضطرارًا ان تلحقهُ بالاعراض التي تلحق الاستقصات اعني التغيّر والسّيلان. وهذه الاشياء انّما تلحق الجسم وحدهُ فان التغيّر يناله في كيفيّاته اعني في الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وسائر الكيفيّات. والسيلان يناله فيما

1) هذا من مزاعم القدماء. والاستقصات الاربعة هي الهواء والماء والتربة والنار

يتحلّل منهُ وذلك ان جسم الحيوان يتحلّل دائمًا بالحركة وبالحرارة الطبيعيّة وبالهواء فيحتاج لذلك الى ان يخلف (؟ يخلف) عليه مكان ما يتحلّل منهُ والّا انحلّ وفسد . والذي يتحلل منهُ اشياء صلبة واشياء رطبة وروح ولذلك احتاج الى ما يخلف عليه مكان ما يتحلّل منهُ ويكون من اشياء يابسة واشياء رطبة وروح وهي الطعام والشراب والنفس وهذه الثلثة هي الاستقصات الاربعة لانّ كلّ شيءٍ (99) من الاشياء يغتذي ويزيد بما يشاكلهُ ويعالج ويصلح ما فسد منهُ بما يضادده (يضادّه). فانّ الافراط في الحرارة يُردّ الى الاعتدال بالبرودة والى البرودة بالحرارة والى الرطوبة باليبوسة والى اليبوسة بالرطوبة وبالجملة كلّ ضدّ بضدّه

ولانّ الله تبارك وتعالى خلق حسّ اللمس في الانسان قويًّا جعلهُ به يفضل على سائر الحيوان وجعل الجلد (الجلد) منهُ الذي به يحسّ ملتقاهُ من خارج رقيقًا لطيفًا معرًى من الشعر المتكاثف ومن الصوف والريش ومن الوبر والقشور والاصداف التي توجد في الحيوان . فلعدم هذه الاشياء يحتاج الانسان مع الغذاء الى اللباس ولهذه الاشياء بأعيانها التي لها احتاج الى اللباس والغذاء . وبسبب الصيانة ايضًا والتحصين احتاج الى المساكن فالانسان مضطرّ الى الغذاء لما يستفرغ من بدنهِ ومضطرّ الى اللباس لانّ بدنهُ معرًى من جُنّة توقيهِ ومن كلّ ما يدفع المضارّ الواردة عليهِ فهو يحتاج الى المنزل ليصونهُ من الحرّ والبرد ويحوطهُ من الآفات . ويحتاج الى العلاج ليغيّر الكيفيّات التي بهِ ولما ينالهُ من تفرّق الاتّصال

وكذلك احتاج الى الصنائع والعلوم التي بها يعلم هذه الاشياء . ولان الانسان الواحد ليس يمكنهُ ان يعمل الاشياء (100) كلّها احتاج بعض الناس الى بعض وحاجة بعضهم الى بعض اجتمع الكثير منهم في موضع واحد وعاون بعضهم بعضًا في المعاملات والأخذ والعطاء واتّخذوا المدن لينال بعضهم من بعض المنافع من قرب لانّ الله جلّ وعزّ خلق الانسان بالطبع يميل الى الاجتماع والأُنس اذ ليس يكتفي الواحد من الناس بنفسه في الاشياء كلها . ولمّا اجتمع الناس في المدن وتعاملوا وكانت مذاهبهم في التناصف والتظالم مختلفةً وضع الله جلّ وعزّ سننًا وفرائض يرجعون اليها ويقفون عندها ونصب لهم حكّامًا يحفظون السنن ويأخذونهم باستعمالها لتنتظم امورهم ويجتمع شملهم ويزول عنهم التظالم والبعد عمّا يُبدّد شملهم ويفسد احوالهم

ولما كان الشرّ يدخل على الانسان امّا في نفسه وامّا في اهل مدينته وامّا من اهل مدينة اخرى جعل الله جلّ وعزّ له ما يتحفظ به من وقوع الشرّ وما ينفعه ويداويه اذا وقع في شرّ . فلمّا كان الانسان محتاجاً الى الغذاء للسبب الذي قدّمنا ذكره والى التناسل خلق الله عزّ وجل فيه شهوة هذين وقرن بهما لذّة قوية عجيبة ليضطرّه الى استعمالها . وخلق فيه القوّة المميّزة ليتقدد (ليفرز) بها ما يحتاج اليه من هذين فيستعمله (101) ولا يتبع شهوته في طلب اللذّات فيخرج عن حدّ الانسانية ويصير في عداد البهائم

وخلق فيه قوّة ثالثة وهي قوّة الغضب لتستعين بها القوّة المميّزة على ضبط الشهوة وقهرها . فبيّنٌ ان (في) الانسان شيئاً هو بمنزلة الرئيس وهذه القوّة المميّزة التي تضع الامور مواضعها وبها وحدها يستحقّ الانسان ان يسمّى عاقلاً مميّزاً وصار يفضل سائر ما في العالم من الحيوان . وفيه ايضاً شيءٌ مـا من ضبط (ضبط) وهو القوّة الغضبيّة والشهوانيّة . فانّ الانسان اذا كان على الحال المحمودة فانّه يضبط نفسه بعقله عن اتباع لذّاته ويمتنع من ان يغضب الّا في وقت يوجب الغضب ولا يستعمل منه الّا بمقدار ما تدعو الحاجة

فالشرّ يدخل على الانسان من نفسه اذا قويت القوّة الشهوانيّة منه القوّة المميّزة ولم تقدر المميّزة على ضبطها . ومن صار الى هذه الحال لم يكن بينه وبين البهائم فرق وكان انساناً بالاسم فقط لا بالحقيقة ووجب تجنّبه والحذر منه او تقويمه واصلاحه . ويتهيأ للانسان ان يتحفظ من وقوعه في الشرّ متى تـأمّل نفسه فضل تأمّل وعلم انه مركّب من شيئين : من نفس ناطقة عاقلة مميّزة مؤثرة للخير محبّة للفضائل مائلة الى التقى والنسك مشتهية للنظر في العلوم (102) واستنباط الصنائع . ومن بدنٍ ارضيّ متخلّل فاسد شديد التغيّر والاستحالة مُطالب بالانهماك في الشهوات والتلذّذ للاسباب التي وصفنا . وعلم انّ البدن آلة للنفس وانّه انما هو انسان من جهة النفس لا من جهة البدن فمال الى اشرف جزئيه وغلبه على أبخسهما وجعله المدبّر له والآمر والناهي عليه كما خلقه الله عزّ وجلّ ولم يطلق لبدنه من اللذّات التي يطالب بها الّا ما يحتاج اليه لقوامه فقط . فانه متى فكّر في هذه الاشياء وعرف فضلها منعه ذلك من الوقوع فيما يؤثمه ويجلبه شرّاً . فامّا طريق اصلاح الانسان لنفسه

ومداراتها واستنقاذها مما وقعت فيه من الشرور فيكون بمفارقة الافعال الرديئة ومجانبتها والتوبة واستعمال ضد الحال التي كان عليها

فاما الشرور التي تدخل على بعض اهل المدينة من بعض فتحفظ بالتمسك بالشرائع والسنن التي وُضعت لهم وترك مخالفته (مخالفة) شيء منها واصلاحها ومداواتها وتكون بالتأديب والعقوبة التي توجبها الشرائع على من خالفها وتعدّاها . واما الشرور التي تنال اهل المدينة من اهل مدينة غيرها فان التحفظ منها بالتحصين بالأسوار والخنادق والحراس . ودفعها اذا وقعت (103) يكون بالمحاربة والقتال . فقد تبيّن فضل الملوك وان الناس يضطرّون الى تدبير وسياسة وأمر ونهي وانّ المتولين (المتولّين) لذلك منهم ينبغي ان يكونوا أفضلهم . فان من نهى عن شيء وأمر بشيء فالواجب ان يظهر استعمال ذلك في نفسه اولاً ثم في غيره

ولأن كثرة الرؤساء تفسد السياسة وتوقع التشتّت فلذلك احتاجت المدينة او المدن الكبيرة او البلدان او اكبر العمارة الى ان يكون رئيساً واحداً كما تهيأ لك أيها الملك (١ وان يكون سائر من يُنصب اتمام التدبير والسياسة والحفظ اعواناً له سامعين مطيعين مُنقذين لما يصدر عن امره حتى يكونوا كالاعضاء له يستعملهم كيف احب ويكونوا كالحاضر لجميع عمله بحضورهم وإنفاذهم لامره ونهيه يتناول بهم الامر البعيد كتناوله بيده الشيء القريب ويدرك بهم ما نأى كإدراكه برجليه ما قرب منه

ويبين ايضاً مع ذلك انه لا يكمل لسياسة اهل مدينته الّا من كمل لسياسة اهل بيته ولسياسة نفسه وان كان المستحقّ للانفراد بالرئاسة والسياسة ينبغي ان يكون افضل اهل زمانه وان يكون لمن يرأسه ويسوسه بمنزلة الوالد الشفيق متفقّداً لما صغر وكبر من (104) امور رعيّته غير متشاغل بشيء عن ما حسّنها وجمع شملها ورتب (ورتّب؟) العدل والانصاف فيها ودفع الشرور عنها بكل ما يجد اليه السبيل . ولم تَو يكمل لذلك الّا من اجتمعت فيه الفضائل وان تجتمع الفضائل في من كان مطبوعاً على قبولها فانه ليس كل طبع مؤاتياً لقبول الفضائل ولا كلّ نفس بصيرة بالجميل . وذلك انّ الناس على ثلاث طبقات فنهم من ينتبه على فعل الجميل

١) يخاطب دامسطيوس ثاوذوسيوس الملك

وإتيان الحقّ من تلقاء نفسه وهذا افضلهم . ومنهم من لا ينقاد على ذلك من تلقاء نفسه الّا اذا نُبّه عليه سمعهُ واسرع الى قبوله . ومنهم من لا ينتبّه عليه ولا يقبلهُ متى سمعهُ من غيره وهذا شرّ الناس . ومن كان كذلك فلا يجب ان يقلَّد تدبيرًا ولا سياسة ولا يكون الّا في عداد من يُقمع ويكفّ شرّهُ عن غيره بالتخويف والترهيب وتغليظ العقوبة

ومن سعادة اهل الزمان انّ رأسهم ومتقلّد سياستهم وتدبير امورهم الملك الجليل الذي قد اجتمعت فيه الخصال الموجبة للملك من مؤاتاة الطبع لقبول الفضائل واستعمالها في مواضعها وإيثارها في نفسه اوّلًا ثمّ في سائر اهل مملكته شريفها ودنيّها عالمها وجاهلها غنيّها وفقيرها بعيدها (105) وقريبها كلّ واحد منهم على حسب ما توجبهُ طبقتهُ حتّى قد خضعت له الامم وانقادت له الممالك وبخع له الاعداء وذلّت له السادة ورضي برئاسته الملوك . فقد سكنت الحروب وائتلفت القلوب وانطلقت بسطوته وافراط هيبته نار الشرور وكسد الجهل وقامت سُوق العلم واتّضحت السبل وانبسطت التجارات وكثر الخصب ورخصت الاسعار وانتشر العدل واستقامت الامور وزال الخوف واتّفقت الآراء وبطل الاختلاف . فليس يوجد محارب ولا معتدٍ ولا متخطٍّ طورهُ كلّ قد لزم طبقتهُ ووقف في ظلّه . وعرف مقدارهُ . فالرئيس يأمر وينهي والمرؤوس يسمع ويطيع . وانّا التام (التأمّ) ذلك كلّهُ بتيقّظ الملك واستغراقه وسعة واستعمال همّته في اسباب (استتباب) سياسته وتدبير رعيّته ومراعاته لسبابها فهو بذلك منصف لها من نفسه ومنتصف لبعضها من بعض ودافع الشرور عنها

واذ قد انتهيتُ الى هذا من القول فانا ممتثل ما امر به الملك من وصف ماينبغي ان يكون في الملك من الخصال التي يستحقّ بها ان يكون ملكًا (106) ويزول عنهُ بها اسم التغلّب والقهر . فقد تبيّن بما وصفنا انّ الناس انّما احتاجوا الى رئيس ومدبّر وملك ليدفع عنهم الاذى الواقع على بعضهم من بعض حتّى يتّصد كلّ واحد منهم الصناعة التي انتحلها لمصلحة نفسه ومصلحة غيره ممّن يحتاج اليها فلا يعوقهُ عنها عائق فيتمّ بذلك تعاضدهم وتوازرهم وتعاضدهم وترافدهم وتعاونهم على مصلحة معيشتهم واستقامة امورهم ويصيرون كالاعضاء الكثيرة المختلفة التي تخدم بعضها

بمعناً لتام بدن واحد صحيح سليم · فواجبٌ من ذلك ان يكون المتقلد لسياستهم معرّى من الشره قاهراً للذاته لا يطلق لنفسه منها الّا ما كان به قوام بدنه فان من قهرته لذاته فهو عبدٌ لها ومن كان عبداً فليس له بالحقيقة ملك

وأن يكون غير محبّ لجمع المال الّا من الوجوه التي تعود بالتسع على الرعية · ويكون حاذقاً بجمعه من وجوهه وإنفاقه في وجوهه غير مفرط ولا مقتّر ولا متجاوز حدود ما هذه سبيله غير باسط ليده الى شيء من مال العامة · واما ماله فينبغي ان يكون مبذولاً يتقدّم سائر الناس السماحة (بالسماحة) والسخاء · ويتسع نفسه اولاً ثم (107) رعيّته من استعمال الآلات والاواني المتخذة من الجواهر التي جعلت قيمة الاشياء اعني الفضة والذهب الذين يتعامل بهما الناس ويقومان لئن يكونان عنده مقام كلّ ما يحتاج اليه لأنّ ذلك يؤدّي الى غلاء الاشياء وعوزها

وان يكون خبيراً بأخلاق الناس كثير التفتيش من مذاهبهم ليختار كلّ واحد لما يصلح له ويجعل الشّجاع النّجد محارباً والثقة الامين خازناً وحافظاً والعلم السديد قاضياً حاكماً والمحنّكَ المجرّب الصحيح الرأي مستشاراً · ولا ينبغي ان يستخدم في مطعمه ومشربه وملبسه وبالجملة فيما يقرب منه الّا احد ثلثة اما من تربّى معه وأنِفَه واما من ربّاهُ الملك على اخلاقه واما مَن ربي الملك في حجره · فانّ هؤلاء يخدمونه بمحبة ولذلك يجب ان يكون إحسانه وافضاله وتفقّدهُ لامورهم اكثر منه لجميع الناس ولا يتّكل في مراعاة لمصابهم على غيره

فامّا حاجبه فينبغي ان يكون فهماً يعرف مقادير من يصل الى الملك ليكون معاملته اياهم بحسب ذلك ولا يكون شرهاً نطقاً ولا كسلان بطيء الحركة وان يكون بين الشرس في الاخلاق ولينها (108) متيدرًا على التعب والنصب حسن الحدس والتخمين معرّى من الهزل قليل الضحك

وامّا الجند والمحاربون وبالجملة مَن يحمل السلاح فلا يستعمل منهم مَن قد اعتاد الترفُّه والراحة والتنعُّم بالمطعم والمشرب والشّمائل ولين الملبس فان هذه السيرة تعريهم من جميع ما يحتاج اليه منهم من الشجاعة وشدّة البدن والإقدام على الموت والصبر على الشقاء في البعوث من البرد والجوع والحرّ والعطش وما لا يكاد ينفكّ منه المسافر · ويمنع الجند من انتحال الصنائع ويؤخذون دائمًا بالرياضة كلّ فريق منهم

بما يصلح من السلاح ويتفقد احوالهم بالعَرْض في كل شهر مرة ويقام لهم جميع ما يحتاجون اليه لئلا يشغلهم الطلب عمّا يحتاجون منهم ويُمنَعون عن ان يبذلوا آدابهم في الطلب فيكون في ذلك عنتاً (غش) على المملكة اذ كان اعظم قوامها فيهم

ويختار منهم الشيخ الثاني ومَن نالته آفة فأضعفت قواه الّا ان يكون يصلح المشورة والرأي والتدبير في الحروب

وما يحتاج اليه الملك حاجة ماسّة علمُ اخبار الممالك التي تتاخمهُ حتى لا يذهب عنه منها شيء وان يشحن ثغوره (الثغوره) بالرجال ويعمل في وجه كل امّة من الامم التي تتاخمهُ من الرجال من يفي بحاربتهم . فانّ الامم (109) تتفاضل في الشجاعة والجبن فمن قصد بلدة امّةٍ من الامم استعدّ له معها ما يدفع به مثلها وبادرها بذلك قبل ان يتوسّط بلدهُ ويجهد الّا يخرج له خبر الى اعدائهِ . وان يكون تدبيرهُ مستوراً عنهم ويتحذّر ممّن يأتيه من خدم اعدائهِ مستأمناً فانهُ لا يؤمَن ان يكون دسيساً يصرف عنهُ اصحابه او يتعرّف اخبارهُ ويُنهيها الى اعدائهِ او يغتاله بضربٍ من الاغتيال

وممّا ينبغي ان تكون به عنايتهُ ليس بدون عنايته بهمّاته امرُ الصنائع ليجري امرها على سداد الصناعات ثلثة اصناف علميّة وعمليّة ومركّبة . فالعلميّة مثل الفلسفة والخطابة والنحو والبلاغة والعمليّة مثل النجارة والصفارة وما اشبهها . والمركّبة من العلم والعمل مثل الطبّ والموسيقى فينبغي ان يختار لتعلّم الصنائع العلميّة بل لا يطاق تعلّمها الّا ان كان ذكيّاً فطناً سريع الحفظ والتمييز لما يقرأهُ عارفاً بمقدار العلم قائلاً بفضله محبّاً لاهله سليماً من الآراء الفسدة للعقول

ويختار لعمل الصنائع العمليّة قوماً اشدّاء اقوياء اصحّاء الابدان ويكون حظّهم من ذلك بحسب ما تحتاج اليهم صنائعهم (110) ويختار للصنف الثالث مَن اجتمع فيه الخلتان ويرئّس على اهل كلّ صناعة ابصرَهم بها واشدّهم تقدّماً فيها ويتقدم اليه في الاخذ على ايديهم ويتفقدهم (ويتفقّدهم) ولا يستعمل الملك منهم الّا احذقهم ليرغب الباقون في التزيّد في الصناعة لينالوا بها الحظّ فانّ اكثر ما يتعاطى الصنائع للحظوظ فمتى نيلت الحظوظ باليسير من الصناعة لم ترغب الناس في الازدياد فيها ومتى تادى ذلك بطلت الصناعة او ضعفت فانّ قلّ من يستعمل الصناعة لنفسها وتنقّد مثل هذه الاشياء تعمر به المملكة . فاما عمارات الارضين وابتناء المدن والمعابر وشقّ

الانهار واستخراج المياه وعقد الجسور واصلاح السبل وتنظيفها من الدعار فيجب ان يصرف الملك اليه اكثر عنايته

وبالجملة فيجب ان يكون ولده (۱ ان يخلف المملكة لمن يأتي بعده أعمرَ مما تسلّمها منه كان تقبلهُ فانَّ الله جلّ ثناؤهُ يجزل ثناوه (ثوابه) على قيامه بما نصبه له دون غيره والذكر الجميل يبقى له على غابر الدهر . وليس ينبغي ان يظنَّ بنا انّا اغفلنا وصف وزير الملك كيف ينبغي ان يكون فان ذلك قد دخل فيما وصفنا اذ كان (۱۱۱) الوزير ينبغي ان يكون متخلقاً باخلاق الملك ينوب منابهُ في كلّ شيء ولا يكون الفرق بينهما الّا في المرتبة فقط . فمعلوم ان جميع ما وصفنا به الملك ينبغي ان يكون في وزيره موجودًا والسلام (تمّت والحمد لله على نعمه كثيرًا)

۱) ... في الاصل وهذا لا يوافق المعنى . ولعلهُ اراد « ولَدَهُ » اي همَّهُ

رحلة الامير بشير الاولى الى مصر

للشيخ سلوم الدحداح

نشرها جناب الاديب الشيخ سليم الدحداح (تتمة)

ثمَّ سار السبت صعد القبودان الى الصاري واخبر ان تباين قلعة ابو قير ولم يزل البحر مالحاً ثمَّ الساعة ٦ قابلنا اسكندريَّة والعصر حضرت نقيرة من اسكندريَّة ومعها مكتوب من ترجمان ماركو (۱ يطلب من الكومندة لكي يحضر لعنده في اشغال . واخبرت النقيرة ان الترساويَّة خرجوا من دمياط ومن السويس الى اسكندريَّة . وانهُ وصل كركجي (۲ من قبل الصدر الاعظم الى البلد . وفي تلك الليلة توجّه موسى رئيت في غلياط الى دمياط ومن هناك يسير الى مصر

ونهار الاحد الساعة ۲۸ رأينا قبودان كتر في يده نظّارة ويطلع الى البحر ثمَّ

۱) لم نعلم شيئاً من امره . والغالب اسمهُ طلياني (Marco) ۲) الكمركجي اي صاحب الكمرك والديوان

صرخ صوت بغير وعي . فركضوا القباطين والبواق بايديهم وصرخوا على العسكر جميعه فاجتمع نحو سبعمائة صلدات على ظهر المركب وبدا البوق يزعق ويتبادروا الى الحبال والسواري والدواليب تدوم من غير وعي والعسكر يدوس بعضه وهم يتزاحموا على الحبال وتدوير القلوع ومن عظم ما هم به فما احد منا قدر يسأل عن سبب ذلك وحصل الرعب عند الجميع . ثم رأينا المركب انحرف الى العمق وبعد ساعة اخذوا روحهم فسألنا احد التراجمين اخبرنا ان المركب علق في الرمل ولولا عناية الله والمداركة كان شكل . ثم قام الصياح ثاني مرة وبدوا يحدفوا القلايات الى البحر والقيالية والعسكر يتزلوا في القوارب من غير وعي وكان المطر نازل والبحر مثل الجبال فسألنا ما السبب قالوا : الفرقاطة شكلت في الرمل مقابل الاسكندرية فاعطى نيشان الى المراكب يتزلوا قواربهم والعسكر حتى يسحبوا الفرقاطة من الرمل . فنزلوا القوارب تحت الخطر من شدة الارياح . فحين نظروا الفرنساوية العسكر هجم في القلايك رفعوا بنديره وقوسوا مدفع نيشان سألوا الى الكومندة يعرفهم سبب ذلك فنشروا البيارق البيض وقوسوا مدفع علامة الصلح . وبعد الجهد العظيم خلصوا الفرقاطة من الرمل . ثم بعد الغروب حضر الكومندة الى عند الامير وافهمه عن الخطر الذي حصل الى المركب والفرقاطة وقال : لو ارادوا الفرنساوية الغدر لكانوا قدروا ولكن الصلح تقدم

ونهار الاثنين اصبح المركب في ضهر البحر لأنهم صاروا خائفين من قرب البر ليحدث كما ذكرنا . وفي ٣ بالساعة تقوص مدفع من الاسكندرية ونصبوا سنجق وخرج من الميناء مركب بثلاث صواري وقلوكه كبيره وفي رأس الساري سنجق الانكليز وفي المؤخر سنجق فرنساوي فحالاً المركب قوص لهم مدفع علامة القبول واقتربوا الى الجنب وكان ذلك الجنرال الحاكم الاسكندرية ومعه جنرالية فرنساوية فالتقاهم الكومندة الى باب الدرج وعمل لهم كل اكرام ونصب اشارات بان يحضروا قباطين المراكب يسلموا عليهم . وكان المركب الذي بثلاث سواري نمساوي طالب اذن من الكومندة بأن يوسق ورد وبن الى ازمير فما حصل له سماح وعند العصر نزل الكومندة والجنرال الى الفرقاطة وحين نزولهم للقارب حدث نو وصار خوف قريب من الامس . ثم زالت حالاً . وبعد ذلك رجعوا الفرنساوية والافندي الذي قدمنا

ذكرهُ الى الاسكندريَّة

ونهار الثلثاء اصبح الريح معتدل وعند غروب الشمس حضر قارب من الاسكندريَّة صحبتهُ فيسال من عند كليبر من مصر فاجتمع مع الكومنده الى الساعة ١٠ وانصرف . وبقينا الاربعاء . والخميس الظهر رفعت الترقاطة بنديره اشارة انَّه فيه شغل مع الكومنده فسار المركب نحوها فنزل قاربها وبه فيسالي فرنساوي الذي هو ثاني كليبر وساق معهُ الكومنده كلَّ اكرام ونُزلة عنده في الكامره . وبعد ذلك افهم الامير: « انا مرادي اوجه هذا الجنرال والقبطان كتر الى عند الجنرال الكبير الى سيسليا » .

فاصبح الجمعة نوٌّ عظيم وصار ضجّة عظيمة في المركب ولا نعلم الى اين سائرين احيان نحو قبرص واحيان نواحي رودس ومع اختلاف هذه الارياح كانوا يعارضوها ويديروا المركب بالعنف الى ان رجّعوهُ الى قبال الاسكندريَّة أملهم ان في الليل يهدأ البحر فجرى الامر بخلاف وزاد البحر امرار وكان الموج يعلو على ضهر المركب ونهار السبت كان الريح مسكّنٌ نوعاً وقد كشفنا قلة (قلعة) العرب وابن غازي (١ وفي الليل هجع البحر

ونهار الاحد اصبحنا قبال برّ المغاربة والريح معتدل . وهناك مينا يقال له برتو سكيا (٢ ثمَّ ان الكومنده وجّه ذلك الجنرال الفرنساوي الى مركب التيشيس . ثمَّ انَّ الكومنده ارسل الى الامير : « انَّ مراكب الفرنساويَّة لا بدَّ من حضورهم وانت تحارب معي في البحر وانا احارب معك في الجبل » . وسأل الأتباع عن سلاحهم وانَّهم يستعدُّون للحرب . وبعد الغروب وجّه المركب فسألتُ القبال « فرتو » في التركي عن الاخبار فقال لي: « لم بقينا نرجع الى الاسكندريَّة حتّى نصادف عمارة الفرنساويَّة » .

وصباح الاثنين الغربي فتح القبودان باب الكامره بغير وعي وصرخ على الكومنده : « مراكب العدوّ على القدم » فخرج الكومنده في ثياب النوم وعلى اكتافه كرك سمّور من شدّة البرد وصرخ في البحريّة : ركّبوا زوايا القاوع بطلب

١) هذه من سواحل طرابلس الغرب ٢) لعلَّهُ هو الذي دعاهُ بعد ذلك برطو سليان

العدوّ • وامر العسكر يستعد للحرب وابتدت تتراكض العساكر على الجبخانة (١ وتركب زوايا القلوع • وكانت الفقير واقف في الكامره فقال لي الكومنده وهو يضحك : • الفرنسيس اجاوا اليوم ناخذهم بريزا • ومن شدة القلوع وثقلهم وقع قطعة فصرخ الكومنده : • ارخوا حبل الفلاني • ولو يلحق الصاري لعدمه • وجمعوا كلّ ما يوجد على ظهر المركب وانزلوه العنبر وركّبوا قداديح المدافع • ووقف على كلّ مدفع سبعة انفار وطوبجي وبيد كلّ طوبجي فتيل خوفا ان تغالط قداديح المدافع • وجدّ المركب السير في طلبهم • فبان مركبين على القدم وقبل ان يصير محلّ الجنك (٢ نصبوا اشارات الى بعضهم مقدار نصف ساعة وكانوا ينصبوا بنديره ويلشوا واحده وينشروا غيرها الى ان فهموا الخبر • فقال الكومنده الى الامير : • انّ هولاي مراكب انكليز الواحد مركب حرب والثاني ذخيره • من تلك الاشاير فهمهم واحضر قدام الامير ورقة مصوّر بها البنديرات واشايرهم

ثمّ وضعوا الكراسي وعزم الجنرال الفرنساوي وشربوا قهوة • وبعد نصف ساعة لبصوا (٣ على الجنب وطلعوا القباطين سلّموا على الكومنده واعطوه مكاتيب واخبروه • انهم كانوا على مالطة عند عمارة الانكليز فاتى خبر الى سر عسكر الكبير انّ عمارة الفرنساوية خمسة واصلين فلاقيناهم مسافة ثلاثة ايام ووقع الحرب فكسبنا منهم مركب باليك وقتلنا الكومنده بيوات (٤ ومعه ستّة فيالية وشلّط منهم مركب على البرّ والثلاثة انهزموا نحو كريت • وقد ارسلنا سر عسكر اليك ان تسير في طلبهم • وهذا الكومنده الفرنساوي بيوات الذي قُتل هو الذي كان في حصار عكّا واخذ مركبين اسلام في الخداع • وكان متوجّه بتلك المركب فمسكه الكومنده واخذه يسير (اسيرا) ثم عتقه بشرط ان لا يعود يرجع الى الحرب حسب عوائدهم • وبما انه شجيع رجوعه الى العمارة الى ان قُتل كما ذكرنا فانسرّ الجميع بقتله ما عدا جنرال الفرنساوي

ثمّ بعد المغرب سار المركب وقام الكومنده بتنديرة لشاره الى المراكب ان.

---

١) الجبخانه بالتركيّة مستودع الاسلحة

٢) الجنك ساحة القتال تركيّة ٣) لبصوا اي التصقوا

٤) التبس علينا اسم بيوات فلم نتحقّق المراد به

تمشي معهُ نحو كريت ليـدور على تلك المراكب الفرنساوية وكان المركب سائر كالطائر والمقدَّم يقدح شرار . وفي ثالث يوم طلع ريح عظيم ونوء ما صار مثله حتَّى ليأسنا من الحياة . وقبل الضوء طلع بارود في الفرقاطة اشارة انهُ البرّ قريب فأضوا ثلاث قناديل اشارة انهُ فهم ذلك . وعند طلوع الشمس كشفنا برّ كريت . والضهر اخذ القبودان الناضور بيده ونظر نحو البحر وصرخ بصوت عظيم : « داركوا القلوع » وركض العسكر جميعه الى الحبال فتعوّق صلدات في سحب الحبال فضربه في ذلك الناضور فانكسر شقفاً وبدأ يخبط برجله من غير وعي وبعد دقيقة نفد تزيلة عظيمة ولكن لسبب استحضارهم ما تحكّمت في المركب ثم ورد نحو جزيرة كوزا (١ وقوّص مدفعين اشارة للمراكب . واصبح نهار الجمعة قبال جزيرة كاسوا (٢ وهي بقرب جبل كريت . ثم وجّه القبودان كتر والجنرال الفرنساوي الى سيسيليا وتوجّه الكومنده مع الجنرال الى الفرقاطه ودّعهُ ورجع

ونهار الاثنين كشفنا برّ كنده (٣ والغروب كشفنا برّ طرابلس الغرب ثمّ باط المركب وبقينا ثلثة ايام وكان نوء عظيم . وفي ليلة الخميس صرخ الديدان (٤ من الصاري : « قنديل في الجرمه (؟) من جهة الغرب » . حالاً القبودان اخذ بيده ناضور الليل وقال : مركب . ثمّ اخبر الكومنده فأمر بطفي الاضوية جميعهم وارخاء السطور (الستور) على طواقي الكامره ثمّ امر باش بيرقدار (٥ يقف مع الحرس على الكامره ويترقّب تلك المراكب . واصبحنا على بكرة من عظم النوء ما عاد بان لهُ خبر وقد حدث مطر عظيم

ورجع مركبنا نحو الاسكندرية وكان الكومندة عنده ثقة من جهة الامير ودائماً يسلّي خاطره لأن قضينا تلك الشهر في النوء والاخطبات (الاختباط) وكرهت انفسنا بحر كريت . وفي نهار السبت الساعة ٦ بان قلّة العرب بين درنا (٦

(١ كانت كوزا او كوس (Cos, Ko) احدى جزائر تركيا في الارخبيل قريباً من برّ الاناضول (٢ تدعى كاسوس (Kasos) بين جزيرتي كرباثوس وكريت
(٣ كنده (Candie) من مدن جزيرة كريت الشمالية
(٤ يريد الديدبان وهي كلمة فارسية معناها المراقب والرائد
(٥ الباش بيرق دار هو اوّل حملة اللواء والراية (٦ درنا من مدن طرابلس الغرب الداخلية كانت داخلة في متصرفية بنغازي . وقلّة العرب هي قلعة العرب كما سيأتي

والاسكندريّة. وعند الغروب قربنا للشط ورأينا منازل عرب يقال لهم سلموس وجابوس. وكنّا نؤمّل ان في وصولنا نرى الاخبار المسرّة ونحصل على المطلوب

ونهار الاحد وصلنا الى قبال الاسكندريّة وجدنا مركب التيثيس ومركب بومعات. ثمّ طلع الى عندنا القبودان فسأله الكومنده عن الاخبار فاخبره ان غرق الصندل(١ في البوغاز ومات فيال وخمس بحريّة وان الوزير الاعظم طردوه الفرنساويّة من مصر الى العريش فصار غم عند الجميع. ثمّ حضر موسى رَيت واخبر كذلك. وفي ثاني الايّام زاد النوء ثمّ هجع النوء فرجع المركب نحو الاسكندريّة ونصب بنديرة بيضاء لشارة الصلح فنصبوا له من المدينة بيرق ابيض. وارمى المرسى قبال القلعة وحضر فلوكه بيرميلين خمر هديّة الى الكومنده ونزل موسى رَيت الى الاسكندريّة ورجل اخبر ان الوزير انقشل الى الشهول وان النز وناصيف باشا (٢ لم يزالوا محاصرين في مصر

وصباح السبت وردت مراكب الذخيرة كي تفرّغ حسب التعريف السابق ضربوا لهم مدفع ما احد دخل الاسكندريّة. وانّنا في الليل وصلوا اربع مراكب ضبطوهم الفرنساويّة ثمّ ارسل الكومنده مركب الياريك يكشف خبر الوزير في قلعة العريش وغزّة ويافا. والامير حرّر مكاتيب الى اخوه الامير حسن يعرّفه الواقع وارسلها مع مركب الياريك ليت دميان ليرسلوها لتتصل طرابلس. ثمّ توجّه نعمة حسّون (٣ الى قبرص فحرّر معهُ الامير مكاتيب ايضاً وارسل الكومنده مركب تيثيس ومركب بومبرده يفتّشوا على عمارة الفرنساويّة وبقينا ثلثة ايّام في الواسطة

وفي صباح السبت رأى الكومنده ثلثة مراكب اسلام باليك وعشرين مركب كرّوجيه (٤ لاجل ان يحاربوا الفرنساويّة من الاسكندريّة فضربهم جملة مدافع بكلل حتى دجهم عن الدخول الى الاسكندريّة. ثمّ حضر جنرال فرنساوي يسأل خاطر

---

١) يظهر ان الصندل اسم احد مراكب الانكليز او الاتراك
٢) قولهُ انقشل الى الشهول اي هرب الى البرّيّة. الشهول تصحيف التركيّة چول والنزّ فرقة من جند الاتراك كانوا تحت امر ناصيف باشا لمحاربة الفرنسويين في مصر
٣) يظهر انهُ من رفقة الامير بشير ولم يذكر اسمهُ قبلًا في جملة اصحابه
٤) المراكب الكرّوجيّة اي المتكراة

الكومنده واخبره انهُ لم يزل الحرب في مصر وانَّ المراكب الذي دخلت الاسكندريَّة ما اخذوا منهم شيْ سوى انهم تحت الترسيم الى ان يشوفوا نهاية الاحوال وانَّ النفير ما وقع منهم ولا هم مغيّرين

ومصباح الثلاثة رجع مركب الباريك ومعهُ مكاتيب من الوزير الاعظم ومعرّف الكومندة انهُ ارسل يجيب الصف ثنا (كذا) وانَّ في وصول العسكر يقوم الى مصر . وحضر مركب البومبرده واخبر انضباط (دمياط) بيد الفرنساويَّة . وبقي الكومنده اربعة ايَّام مقابل الاسكندرية . ثم نظر الى شقلاوه (١) خارجة من الاسكندريَّة ضربها مدفع فحضرت وطلع داخلها الافندي وكركجي الاسكندريَّة . ونظر مع الكركجي مكتوب من سر عسكر الفرنساوية كليبر الى قائمقام في اسطنبول يعرّفهُ « انَّ جميع ما توقّع من حين الصلح الى انتقاضه لم وقع تغيُّر منهم وكنَّا مسلمين مصر من غير غبطه (كذا) واننا الوزير بدّه يأخذها بالسيف والانكليز مرادهم يأخذوا الفرنساوية يسرى (اسرى) التزموا انهم قاتلوا عن انفسهم فكسروا عسكر الاسلام . ونحن لم نزل على قولنا » ثمَّ اخبروا الخبر الذي ذكرناهُ عن مصر . فامر الكومنده انَّ الافندي والكركجي يتوجهوا الى عند الوزير الاعظم وارسلهم تحت اليَسَق مع قباطين وخمسة صلدات

ثمَّ نظر قطعة على بحر ابو قير ارسل جاءها فوجدها واسقة بصل وقطين ووجد معها مكاتيب من الفرنساوي الحاكم في رشيد الى الاسكندرية يخبر ان الطاعون تباين في رشيد وانَّ الحرب لهُ اربعين نهار في مصر ولم حضر لهم تعريف وانَّهم في وجل عظيم وانَّ اهالي رشيد كلّ يوم يتظاروا (يتظاهروا) في القيام ويهجموهم بالحرَق (؟)

وبقينا قبال الاسكندريَّة وكان تخرج قطع من الاسكندريَّة الى بوقير والمراكب يضربوهم مدافع ويردُّوهم . ثمَّ حضر مركب السبرت (كذا) من قبرص ومعهم مكاتيب ومن جملة الاخبار عن بيت القنطار وانهم حرقوا حارة ناصيف نصرالله . وفي الغروب تغيَّر الريح فتوجَّه المركب في البحر وبعد يومين اصبح قبال

(١) الشقلاوة سفينة صغيرة لنقل الميرة

برطو سلمان (١ الذي ما بين درنا وقلعة العرب (٢ ومن هناك ركز الاعتاد ان نرجع الى الاسكندريّة وانهُ يقتر اي يتأكد صحّة الاخبار والذي عاد جدّ من نحو مصر

وصباح الاحد ارمى المرسى قبال الاسكندريّة وارسل موسى رّيت في فلوكه الى الاسكندريّة · ونهار الاثنين بان مركبين دوام فامرهم الكومنده ان لا يدخلوا الاسكندريّة · ثمّ رجع موسى رّيت وصحبتهُ جنرال فرنساوي واخبر انّ الحرب لم يزل في مصر وانّ الفرنساويّة طالبين الاذن في الانصراف · والثلاثاء دخل مركب فرنساوي من بلاد فرنسا وكانوا يظنوا انهُ مركب دوام ولم عرفوهُ حتّى صار قبال الشيخ المجمي (٣ فهمّوا ان يلحقوهُ فما امكنهم ذلك وحصل عند الكومندهِ غمّ عظيم لأنهُ لو وقع بيدهم كانوا فهموا جميع الاخبار · ثمّ انّ الامير تكلّم مع الكومندهِ ان يأذن لهُ في الرجوع الى عند اخوه لبين ما يروق الحال

والخميس قلع المركب من قبال الاسكندريّة نحو الغرب والجمعة كشفنا برّ درنا ومن اختلاف الريح اصبح على طريق رودس ثمّ اختلف الريح ودار المركب نحو بلاد المغاربة ولوفود معرفة الانكليز في سفر البحر اخذوا يعشّوا المركب بالحرفة الى ناحية قبرص وكان ريح عظيم حتّى كاد المركب يغرق وتعالى البحر الى ان طمّ طوان (٤ الدافع واصبح الاثنين عيد مار جرجس عند الروم (١١ نيسان شرقي ١٨٠٠) والنوّ يتعاظم الى ان صار الموج فوق المركب وحصل خوف عظيم والجميع قطعوا الاياس (٥ وصار المركب يأخذ ماء · واشتغلت الترنباط (الطلمبات) وبقينا تلك اليوم والليل وصباح الثلاثاء هجع النوّ وانكشف البرّ وبان جزيرة ميسر (٦ ويقربها جزيرة مار نقولا خراب وبعدها رأس السبع روس تجاه قرمان · ثمّ كشف السبع روس تجاه قرمان وبان قلعة عقلية · ثمّ بان رأس ماكري وجزيرة ماروا · ومن هناك نهر عظيم وماؤهُ طيّب وبان مينا كوابر ومينا جزيرة السبع المخصوصة في مار ميخائيل ثمّ بعدها رودس

---

١) هو المرفأ الذي سماهُ سابقًا برطو سكيا

٢) سماها قبلًا قلة العرب

٣) الشيخ المجمي مزار بقرب الاسكندريّة ٤) يريد بطوان الدافع قوّتها

٥) يريد انهم أيسوا من الخلاص ٦) هذه الجزيرة وما يأتي بعدها ذكرهُ كلها جزائر صغيرة قرب رودس وبازاء برّ قرمانية ومواقع حربيّة على السواحل

وفي الليل اشتدَّ الريح بزيادة ومصباح الاربعاء هدي الريح والمركب قبال رودس . ثمَّ قابلنا مركبين فضرب لهم مدفع اشارة الى ان يحضروا فحضروا وهم مراكب باليك كبار اسلام فاجتمع معهم الكومنده ساعة وافهمهم يتوجَّهوا الى مقابيل الاسكندريَّة لين ما يكون رجع ورودس قريبة الى جزيرة ستاتكويه (١ وهي تسعين ميل وهناك جزائر قرب بوغاز سكرينو وخاركي ونسروان وخار . في البوغاز توجد جبال سطل وتجاهم جزائر . ثمَّ في الليل مرَّ علينا ثلاث مراكب مما يحولهم ذخيرة الى الوزير الاعظم

واصبحنا الخميس قبال بوغاز رودس ولم كان يمكن الدخول من مخالفة الارياح ولم يزالوا يعملوا بولطه (٢ . والمساء قرب المركب من بوغاز رودس والريح يريدهُ (يردهُ) فالتزم الكومنده يسهر تلك الليلة على ضهر المركب والبوق بيده يدير البحر في البولطه . ومن زود غيرته دخلنا مع الشمس رودس بكل سهولة . وحين رمى الحديد قوَّس احد عشر مدفع فقوَّسوا له من القلعة . ثمَّ عزم الامير ان ينزل الى البرّ يشمّ الهواء فما قبل فنزلوا الخدم كي يغسلوا ويقطعوا ثياب جدد لانهم من قبرص لم احد غسَّل ثيابه . وفي ذلك اليوم اصطاد احد البحريَّة سمكة طولها ذراع ونصف وعرضها مقدار شبر وهي صفراء مرقوطة بحلق سود ومدورين شبه الافعى والانكليز استكرهوا شوفتها جدًّا والذي اصطادها ذبحها فسألنا عن اسمها قال مورينا (٣ اي افعى البحر وهي تلسع انَّما لحمها جيِّد جدًّا

ثمَّ حضر فرمان من اسلمبول ان جميع مراكب الوسق تتوجه الى اسلمبول من غير عاقة فتوجَّه من مينا رودس ستَّة عشر مركب والباقي متابعين . ثمَّ انَّ الامير طلب من الكومنده الانصراف فاوعدهُ بذلك . وفي ذلك اليوم مرَّ شنبر (٤ فيه عسكر من يافا . وحضرت اليوراده (٥ الذي كانت سارت الى رشيد . ثمَّ انَّ الامير ودَّع الكومنده ونزلنا الى مركب الروسيرة فتقدَّم الكومنده لسعادته كاك

---

١) الجزائر المذكورة هناك قريباً من رودس ليس لها كبير امر وربما تصحَّحت اسماؤها

٢) لا نعلم ماذا يفهم بالبولطة لعلَّها الايطاليَّة volutа اي حركة دوريَّة

٣) كذا في الاصل وهو يريد مورينا (murène) نوع من السمك يشبه الحنكليس

٤) الشنبر هنا نوع من المراكب ٥) لعلَّها اسم مركب

سمور والى الشيخ نجم قطعة قماش والى العبد الفقير قطعة وكان يودّع سعادته ويقبّله امرار وهو يبكي وسار معه الى المركب وودّعه ايضاً ورجع

وفي الليل قلع بنا المركب في ٢٠ ذي الحجه ليلة الاربعاء من رودس (١ وهي مدينة صغيرة بقدر عكا ولها ثلثة اسوار وثلاث خنادق عظام داخلها الف مدفع منهم مدفع عظيم طوله ستة وعشرين شبر يتربّع الانسان في داخله · وهي شهيّة النظر والنا سكانها فقراء واكثرهم يهود ولها بساتين عظام وماؤها وافر وفي كلّ بستان برج مثل ابراج بيروت · ومطاوب من تلك المدينة كلّ سنة يعملوا مركب بايلك الى الدولة وهي بوغاز اناضول واسطنبول بعيدة ثلثة ايام وفي البرّ سبعة ايام وهي مينا مقصودة الى سائر المراكب · ثمّ اصبح مركبنا الخميس بين جبال رودس والاناضول واصبحنا الجمعة قبال فرنقيه وجزيرة راس السنو (٢ والريح عليه ثمّ اشتدل الريح والساعة ١١ كشفنا برّ قبرص ورأس الباف (Paphos) قبال راس الانبوط (٣

ومصباح السبت اقبلنا على رأس اللسون ثمّ كشفنا البومبرده الذي ارسلها الكومنده في الافندي وكركجي الاسكندريّة الى عند الصدر الاعظم وحين نظروا المركب قوّصوا الشارة انّ هنا معا غرض فهرنس (٤ المركب الى ان وصلت للجنب فوجدنا القبالين والصلدات الذي ارسلهم الكومنده من بحر الاسكندريّة · وطلع القبال سلّم على الامير واخبره ان له سبعة عشر يوم مفارق الوزير الاعظم وانه ارسل عشرة الاف عسكري اسعاف الى الذين باقين في مصر وانّ باقي مع الوزير ستة الاف · وانّ الاعلام بينه وبين الجزّار مقطوعة وانه فيه طاعون في عكا وبيروت والملاحة في قبرص

ومصباح الاثنين اقبلنا على مدينة اللسون فصار ريح طيّب وعند الغروب اقبلنا على الملاحة فحضر قبطان الروسيرة واخبر الطاعون قليل ولكن الامير ما سمح الى احد ينزل وحضر القنصل سلّم على الامير · ومصباح الثلاثاء وصل ثلاث

---

١) يريد بها هنا المدينة التي هي حاضرة جزيرة رودس

٢-٣ كلّ هذه الاسماء مأخوذة عن العامّة لا يدوّنها اصحاب الخارطات

٤) في اللغة فَرْنَصَ اي مشى وسار

مراكب والكبير فيهم ناصب سنجق مثل مراكب الباريك وبدأ يقوص مدافع الى ان دخل الميناء ثمَّ عرفنا أنهم مراكب الجزّار واخبروا ان في بيروت طاعون وانهُ مات مرعي الشلفون ومنصور ابن بو كنعان الملحم وابن طنوس بو ريدان (١

ثمَّ نهار الاربعاء قلعنا من الملاحة · وصباح الجمعة كشفنا جبال لبنان وبعد العشي ارمى المركب في مينا طرابلوس · وصباح السبت حرَّر الامير الى اخيه يعرّفهُ في وصولـه وانهُ يرسل الخيل فحضر جوابان انهُ يحضر ثمَّ حضر الكمركجي ومصطفى آغا بربر ونزّل الامير من البحر الى البارد (٢ وحضر الامير حسن والشيخ بشير وتوجه الامير الى قلعة الحصن (تمّ)

—— خاتمة رحلة الامير بشير —— ان الامير بشير لم ينتفع شيئاً من هذه الرحلة لان الصدر الاعظم عاد مكسوراً من البلاد الشامية فلم يكترث الجزّار بتوصياته بالامير بشير وكذلك لم يكترث بتوصيات يدفي سميث لاعتقاده عدم مداخلة هذا بشؤونه الداخلية فلا يحاربهُ منتصراً للامير . — وقد ذهب سدني سميث خائفاً من الجزّار لكنهُ لم يسع في إنقاذ الامير من مقالة . وعليه اضطر الامير تخلصاً من غدر الجزّار الى الاتفاق مع اخصامه فحصلت المعاهدة بين الامير واخصامه اولاد الامير يوسف على ان يحكموا شمالي لبنان من نهر ابراهيم الطرابلس ويكون مركزهم جبيل وبقي عبد الاحد باز مديراً لهم في الاحكام وظلَّ باقي لبنان من نهر ابراهيم حتى البقاع وصيدا تحت حكم الامير بشير ومركزهُ دير القمر والشيخ سلوم الدحداح صاحب هذه الرحلة مديراً للاحكام عنده . واما جرجس باز اخو عبد الاحد الاكبر فاقام في دير القمر في بيته معتمداً للامراء المذكورين عند الامير بشير ومات الجزّار سنة ١٨٠٤ ولبنان على هذه الحالة — التي لم تتغيّر الاً في ايار سنة ١٨٠٧ بقتل ابني باز الشقيقين وخلع الامراء اولاد الامير يوسف وتوحيد الجبل في يد الامير بشير — واما الشيخ سلوم فقد لبث في منصبه حتى سنة ١٨١٧ اذ استقال وعيّن الامير عوضاً عنه ولده الاكبر الشيخ منصور الشهير ومات الشيخ سلوم في عرامون سنة ١٨٢٠

سليم خطار الدحداح

---

١) هؤلاء كلّهم من اعيان موارنة ساحل بيروت اي ما كان خارج بوابات بيروت وكان الساحل المذكور خاضعاً لحكومة الامير ٢) اي نهر البارد

المزارات في شرقي الاردن

بقلم حضرة الخوري بولس سلمان

توطئة

قد وفرت المزارات الدينية في شرقيّ الاردن وغدت عند اهل البادية اشهر من نار على علم . فلا يخطو المسافر بعض خطوات في القرى العامرة او في الربوع الخالية حتى يتعهَّد مقاماً يتوارد اليه الزوَّار ويقيمون له اكراماً ويقدّمون له القرابين والضحايا

فهذه المباني المتعدّدة تختلف باختلاف اصحابها المدعوّين بالاولياء . ولذلك قسموا المزارات الى كبرى وصغرى . فالكبرى هي التي يشيدون اسّها ويرفعون جدرانها بالحجارة الكبيرة القديمة . فاذا دخل المرء الى داخلها ألفى بناءً مستطيلاً على هيئة القبور الاسلامية المشهورة مزيّناً بانواع الزين من نسيج حريري اخضر وشموع ومصابيح خزفية مُضيئة . وربما يبلغ طول اللحد عدّة امتار كقبر النبي هوشع في شمالي السلط . وكلّما فخم البناء واتّسع زاد اعتباره وكثر زائروه . واما المقامات الصغرى فهي دائرة من الحجارة يسكن في وسطها الوليّ الاسلامي . فلا شيء يميّزها عن غيرها سوى الذكر والشهرة . والاعراب يدعون المقام باسم صاحبه . فيقولون زرنا هوشع اي مقام النبي هوشع واتينا الملاهلة والولي جعفر اي مزار الملاهلة والولي جعفر (١ وربما ذكروا الجبال او الاودية المحيطة بالمزارات او عيون الماء القريبة منها فمن ذلك وليّ وادي شعيب او ولي شجرة الخيطي اوعيون الماء .

(١ قال الشيخ محيي الدين العربي في الفتوحات المكية : «اعلم ان النبي هو الذي يأتيه الملاك بالوحي من عند الله يتضمَّن ذلك الوحي شريعةً يتعبَّده بها في نفسه فان بعث بها الى غيره كان رسولاً . وفي الكتب الكلامية ان الوليّ هو العارف بالله تعالى وصفاته حسب ما يكون المواظب على الطاعات المتجنب عن المعاصي المُعرِض عن الانهماك في اللذات والشهوات . وكرامته ظهور امر خارق للعادة من قبله غير مقارن لدعوى النبوَّة فما لا يكون مؤذناً بالايمان والعمل الصالح يكون استدراجاً وما يكون مقروناً بدعوى النبوَّة يكون معجزة »

والاعراب يسمّون المقام وليًا لان ارواح الصالحين تقطن في ذلك البناء على زعمهم . فالولي لغةً هو المساعد والصديق والوكيل عن امرئ في امر ذي اهمية . فالله هو وليُّ الجميع وهو وليُّنا ونعم الوكيل . واما اصطلاحًا فهي الارواح البارَّة والنفوس المقرَّبة من العلي تُناجيه مدى الادهار وهي تتضرع اليه كي يصفح عن البشر ويساعدهم في جميع احتياجاتهم . فالجنّ تسعى دائمًا في اضرار بني الانسان . واما الاولياء فتارة يساعدون الملتجئين اليهم وطورًا يسيئون الى من يهينهم . وربّما اقام اهل البادية مزارًا لاحد الابطال والشيوخ الذين عاشوا بالبرّ والصلاح . فمن الصفات المطلوبة ان يكونوا ارباب كرم وابطالًا في الحروب يقودون الغزوات ويجمعون الفرسان ويخوضون ميدان الوغى . فاينما وقعوا أحيوا لهم ذكرًا واقاموا لهم مزارًا وعدّوا مثالًا لارباب المضارب وربما كان الولي خيالًا تنتج في المخيلة فجسّمته ومثّلته لعالم الوجود والحدثان

١ انواع المزارات

كانت قمم الجبال ومرتفعاتها في العصور الخالية مكرَّسة مقدَّسة كما ذكرناه في مقالتنا السابقة وذلك ان الاقدمين ألفوا هنالك من العظمة والارتقاء ما مثّل لهم انها تلج الى كبد السماء فتنال قوّةً عجيبة ومن ثمّ اقاموا الهياكل والمقامات الدينيّة في رؤوسها . فلا ريب ان النفس في ارتفاعها الى هذه البنايات الشاهقة كانت تشعر بالعواطف الرقيقة والالهامات القلبية السامية فذلك ما حملهم على الظنّ ان الاعلام اقرب متناولًا الى عرش العليّ

بيد ان الاعراب لم يبالوا من افكار اجدادهم الساميّين لا بل اقتفوا آثارهم وساروا على مناهجهم . فمن ذلك نرى ان اكثر المزارات البدويّة قائمة على قُلَل الجبال . اذا وقف السائح على قمّة جبل هوشع يسرّح الابصار بما يكتنفهُ من المشاهد البديعة الرهيبة يشاهد عن بعد وادي الاردن يسيل بالتؤدة و الوقار والاشجار حوله يمينًا وشمالًا ويعاين سُفوح الهضاب مرتفعة شيئًا فشيئًا بعطفاتها وطيّاتها الى مقام النبي هوشع . فيؤثّر ذلك المنظر في فؤاده وتحلّ في صدره المسرّة والدهشة . ويحسّ بان يد الله العظيم قد كوّنتها باكمل نظام كمدرجات طبيعيّة ترتقي الى هذا الجبل . وكثيرًا

ما اقاموا المزارات على ينابيع المياه . فبينا المتجول يخشى وطأة الحرّ ووقدات القفر اذ يجد مسيل ماء يترقرق على الحصباء فيرتاح لخريره وحفيف اشجاره فتحمله النفس الى الصلاة في تلك الخلوة — ومن المزارات ما هو في السهول الممتدة الاطراف ومنها ما هو على منحدر الجبال ومنها ما هو مختصّ بالرجال ومنها ما هو نسائي . ومنها ما هو مبني على اسّ تاريخي ومنها ما هو وهمٌ من الاوهام . ومنها ما هو مذكور في الكتاب المقدس كمزار النبي موسى وهارون وجاد ومنها ما هو تقليدي تابع لتاريخ البادية

٢ مزارات السلط وضواحيها : النبي هوشع وجاد وشعيب

انّ مقام النبي هوشع (١ قائم على قنّة جبل يبعد عن السلط شمالاً ثلاثين دقيقة فقد نال اكراماً من قديم الزمن لما وجدوا فيه من الخوارق . والاهلون على اختلاف مذاهبهم وطبقاتهم يزورونه في اكبر الاعياد الاسلامية وايام المصائب والنكبات

ولمّا كانت الطريق المؤدّية اليه خربة وعرة اهتمّ ارباب الحكم في السلط باصلاحها وترميمها . ففي جوار المزار اشجار سنديان عاديّة يرتقي عهدها الى ثلاثة اجيال واكثر وهي ذات إكرام . والمقام هو بناء مستطيل طوله من الشرق الى الغرب عشرة اذرع وعرضهُ من الشمال الى الجنوب خمسة . فاذا ولجتَ من الباب المتّجه نحو الشمال أخذتك الرهبة اذ تعاين قبر احد الجبابرة العظام وقد يبلغ طوله خمسة اذرع ونيفاً . وهو مفروش بالسجّاد مما جادت به نفوس الزائرين . وعلى قبره نسيج اخضر مطرّز بالذهب . هناك تشاهد القرآن فوق الرأس . هناك مصابيح الزيت والسمن . وهناك قطعُ خِرَق مشكّلة الالوان ما بين حمراء وبيضاء وصفراء وزرقاء معلّقة على الحائط . وهو مبني بحجارة قديمة يرتأي الباحثون ان اكثرها يرتقي الى عهد الصليبيين . وفيه آبار عديدة منقورة في الصخر ينحدرون اليها بدرجات واسعة

ولهذا المزار قيّم يدعى ابا محمّد وهو من الفضلاء وقد ذكر لي عدّة آيات اجراها النبي في مقامه . قال : « اتاني شيخ من بني صخر بابنة له يابسة الفكّ فقلت لابيها : هي

(١ هوشع النبي هو صاحب السفر المعروف باسمه في الكتاب المقدّس احد الاثني عشر نبياً كان في ايام يربعام بن يواش ملك اسرائيل

معتراة من الشيطان. فأدخلتها المزار فسقطت على الارض من شدة الالم وكانت تصيح صياحاً يشقّ الصخور فعلمتُ ان ابليس الرجيم لا يخرج الَّا بالاهانة والمذلة. فضربتها على فكيها بحذائي ثلاث دفعات. فكانت تشعر باضمحلال المرض شيئاً فشيئاً الى ان نالت تمام البرء والشفاء. ودهنتها بزيت النبي فلم يعُد اليها المرض». والرعيان انفسهم يطوفون بالاغنام حول المزار في ازمان الاوبئة ويختارون خير النعاج ويصعدونها الى سطح المقام وينحرونها فيسيل دمها على عتبته. وكل من زار هذا المكان يرى آثار الدماء بادية على الحائط

لمّا أمسكت السماء في ارض البلقاء سنة ١٩١٣ امر القاضي الاسلامي جميع الملل في السلط من اسلامية ونصرانية ان تصعد الى الجبل المقدس فصعد القوم كبيرهم وصغيرهم واقاموا الصلاة وذبحوا الذبائح. فكان التيمن في عيد هذا لانه اصاب الرؤوس والجلد والامعاء. وفي تلك الليلة هطلت الامطار وسالت السيول وغرقت السهول. فزاد اكرام المقام وطارت شهرته

ويروى ان المرأة العاقر تزور النبي حافية خاشعة وتجثو امام الضريح وتقبّله بدموع وتضرع ان لا تكون عاراً بين النساء. ومنهنّ مَن يرقدن الليالي الطويلة بين أسواره بالصوم والصلاة ثم يغادرنه وفي نفسهنّ الامال والمسرّات

وفي جنوبي السلط أكمة تُدعى بابن جادور وهو «جاد بن يعقوب» الذي حلّ في شرقي الاردن. فالتقليد الاعرابي يذكر انه دُفن في رابية من روابي السلط. وهذا المزار يشبه بئراً ينحدر اليها المرء بدرجات قليلة. ويزوره المجاورون إلا يجدون فيه من السلطة والقدرة. على ان عوامل الدهر قد هدمته واخذ اكرامه يزول شيئاً فشيئاً بما حدث من الفتور والتراخي في الدين

يمرّ ايها المسافر في وادي السلط الجنوبي نحو الاردن بين رياض غنَّاء واشجار ملتفّة الافنان ومياه مترقرقة على الحصباء. تجد بعد ساعات ثلاث محيطاً من الحجارة وبركة ماء. فهذا هو المزار الطائر الذكر البعيد الشهرة ألا وهو مقام البقاء كما الدعو «النبي شعيب». وهو ولي مرهوب مختصّ بالاقسام الكبرى اذا اشكلت الدعاوي واستعجمت مذاهبها وأُدمجت سبلها يطلب القاضي البدوي القسم الرهيب في بركة شعيب كما ابناه في باب القاضي البدوي. فينزل المجرم في المياه المكرّسة ويقول: بحياة

شعيب ورب شعيب اني بريءٌ مما اُسند اليَّ من الجرم . وكثيرًا ما تأخذهُ الاوهام ويشعر بذنبه الخفي فترتجف اعضاؤه وتصطكُّ ارجله ويُعقد لسانهُ فيقرّ بما جنت يده من الاثم

واذا قُتِلَ انسان ولم يُعرف له قاتل يأمر الحاكم الاعرابي المتَّهمَ ان يمضي بمعيّة شهود ثلاثة الى محيط النبي شعيب ويقسم انه بريءٌ مما نُسب اليه . ويقال له في تاريخ الاسلام خطيب الانبياء لحسن مراجعة قومه بعثهُ الله الى اهل مدين واصحاب الايكة(١) . ومما يروونهُ عنهُ انه كان في اراضي مدين رملٌ عظيم يقاسون منه عذابًا شديدًا . فدعا الله تعالى فاجابهُ وامرهُ ان يشير الى الرمل فاشار اليه فانتقل الى مكان آخر وانقلبت الارض بدعائهِ نحاسًا فغدا اصحابه اغنياء . وقال شعيب لقومه : « يا قوم اعبدوا الله ما لكم إلهٌ غيره . ولا تنقصوا المكيال والميزان » لانهم كانوا يجلسون على الطريق ويبيعون بالكيل والميزان الناقص . وكانوا يقطعون الطرق فلما طال تماديهم في الغي والكفر ويئس من صلاحهم دعا عليهم فاهلكهم الله بالرجفة وهي الزلزلة . ويزعمون ان شعيبًا كان اذا اراد ان يصعد الجبل انخفض حتى يعلو عليه ثم ينهض الجبل به الى حيث اراد

ودونكم الحادثة الآتية قد تعهَّدتُها بعيني . سرق اعرابي من عشيرة الزَّبايدة بقرة الاب سلامة الحدادين خوري طائفة الروم الاورثوذكس في مادبا . فداخله منه ريب وخالجه فيه ظنٌّ فرماه بالسرقة . فانكر الأمر ونفى عنه الجرم بالاقسام المغلظة . فلما عجز الاب سلامة عن ايضاح الحق ارسلهُ الى وادي شعيب كي يبيِّن براءته في البركة المعهودة . فلم يُبالِ السارق بالامر وانتصب امام الجميع على رجل واحدة واخذ يقفز يهزو . ويقول : « وحياة شعيب وحياة شعيب اني ما سرقتُ البقرة » على انه لما انتهى الى محيط النبي وقف وقفةَ المرتاع واخذتهُ رهبة المكان فاشار الى الحاضرين انه هو السارق . فقد رايتهُ قبل سفره وهو الذي روى لي هذه الحادثة بعد عودته . ومن هذه الروايات عددٌ لا يحصى يُستدلُّ منها ان الولي شعيب هو وليٌّ مرهوب من الزرقاء الى الزرقاء كما يقول الاعراب اي من نهر الزرقاء الشمالي المدعو

---

(١) شعيب على زعم العرب هو موسى المذكور في التوراة بعد ورد ذكرهُ في القرآن في سورة الاعراف

بزرقاء شبيب الى الزرقاء الجنوبي المدعو بزرقاء ماعين . فقد يقسم الاعرابي بالله دفعات متوالية على انه يخشى ان يذكر اسم شبيب بالكذب مرةً واحدة لانه «مظهر الاسرار وموضح الخفيّات» .

ومن اولياء السلط المعدودين «مزار ابي عبيدة» . وهو من الابطال المجاهدين في صدر الاسلام وهو مكرّم في بقعة المدوان في غور الشاغة شرقي الاردن وهو بناء قديم وعليه قبّة مرتفعة حديثة يقدم اليه الاعراب صاغرين متذلّلين ويقرّبون له القرابين بعد رجوعهم من غزواتهم كاسبين . غير ان اكرامه لا يمتدّ الى ارض البلقاء بل ينحصر في سهل الاردن الشرقي

٣ المزارات الموابيّة : جعفر الطيار ، النبي هارون الخ

فبعد ان ذكرنا مزارات البلقاء علينا ان نميط اللثام عن المزارات الموابيّة . بالقرب من الكرك نجد مزارًا جليلًا طار ذكره في تلك البقعة ونال شأنًا رفيعًا فهو «جعفر الطيّار» وليٌّ تاريخي يورده الحديث الاسلامي . ذكر المؤرخون انه في السنة الثامنة للهجرة خرج المجاهدون من البادية لمحاربة الروم وافتتاح ملكهم فالتحم الجمعان في بقعة تدعى مُؤتة فسقط من الجانبين عدد وافر واسفرت المعركة عن كسر المجاهدين ونصرة الروم عليهم . وكان في مَنْ سقط قائد مشهود له في المعارك يدعى جعفرًا . زعموا ان الامام عليًا لمّا تقدّم اليه ليحمل جثته لم يستطع اليه سبيلًا بل كان كالطود في ثقله . فقال له بصوت عظيم : « خفّف دمك يا ابن عمي » فطار نحو ميل . وسقط في مقامه الحالي حيث دعوهُ جعفرًا الطيار . ورفعوا له مزارًا حبسوا عليه اوقافًا واسعة . ومما يدلّ على عظمته ما بقي فيه من آثار المجد الغابر والحجارة الضخمة والأنقاض المبعثرة . ومما ورد في الحديث قول محمد نبي الاسلام : «خلق الناس من اشجار شتّى وخُلقتُ انا وجعفر بن ابي طالب من شجرة واحدة» قالوا وكان جعفر مزيّنًا بالجناحين يطير بهما في الجنة حيثما شاء . ورووا عنه انه لقي العدو فاصابه ثلاث وسبعون ما بين ضربة وطعنة واللواء بيمينه قال : « فقُطعت يميني ثم اخذت اللواء بيساري فقُطعت يساري فعوّضني الله تعالى جناحين اطير بهما في الجنة مع جبرائيل وميكائيل حيث شئت وهذا اسمي الطيّار في الجنة » انتهى

ففي ايام الربيع يفد اليه الزائرون من عرب المجالي والحجايا والسلايطة والحباشنة والمايطة وغيرهم فترى الفتيات يرقصن حول المزار باغاني مُطربة ونغمات رقيقة بينما الشبان يجولون في ميدان متسع على متون الجياد الاصيلة. يخوضون غبار السباق لينالوا الذكر وحسن الاحدوثة. وبعد الافراح ينحرون الذبائح ويقدمونها للفقراء اكراما لجعفر الطيار

واذا سار السائح نحو الجنوب الى معان يرى هناك مزار النبي هرون. افادني رجل تيامي من وادي موسى فقال: لا اعرف مقاما اشدّ اكرامـاً ولا اوفر آيات من النبي هرون في عهدنا الحاضر. فهو مظهر الغيوب وكاشف ما في الصدور والقلوب يهجع الزائر المؤمن تحت ظلّه فيشعر بما لا يوصف من المسرّة والحبور فيعاين شيخاً جليلاً ابيض الناصية طويل الشعر عليه مُطرَف اخضر يُعلمه بما يجب ان يعمل. روى لي الشيخ عليان من عرب التياهة قال: « ان اصل هذا المقام عجيب وذلك ان موسى وهرون سارا يوماً في وادي معان واذا بكهف يسطع فيه النور فبادرا اليه فدخلاه وعاينا سريراً من ذهب عليه من انواع الزين ما يذهل له العقل وقرأ على جانبه هذه العبارة: هذا السرير لمن كان طوله. فامتدّ موسى عليه فزاد من طوله. فصعد هرون فكان كقالب له فلما همّ بالنزول منه مسكه ملاك الرب وتوفاه عليه. فرجع موسى حزيناً نادباً واخبر بني اسرائيل بامر السرير »

روى لي ثلجة بن عبّاس من معان قال: عزمنا على الغزو في يوم راق هواؤه ورقّ نسيمه وأديمه. فلم أُقدم حتى استشرتُ النبي هرون فجلست تحت ظله فظهر لي شيخ رفيع القامة ساطع الطلعة وقال: اياك والغزو فهو يوم بؤس. فاخبرتُ رفاقي فلم يُذعنوا النصيحة وابوا الا الغنيمة. ولما مضوا في طريقهم التقى بهم جيش من الاعداء فرّقهم وشتّتهم

سألت احد الاعراب اين مقرّ النبي هرون؟ قال انه يرقد في قمّة الجبل بين الصخور الناشزة. فيؤمه الزائرون ويضجعون تحت ظلاله المتعكسة. وكان اكرامه قد فتر على تراخي الاجيال الى ان مرّ به درويش مصري يقصد الحجّ فنام بالقرب من هذا المقام فظهر له الشيخ الابيض الناصية وقال له: انا هرون النبي قمْ وانظر فوق رأسك بناء صخرياً منقوراً من عهود قديمة هذا مزاري وهنا ضريحي. فلما استفاق

من رقاده اعلم الاعراب بما رأى وسمع وغدا قبّاً الى ايامنا الحاضرة. وفي معان مزارٌ نسائي مشهور يُعرف «زبيدات العين» هو لم يكن معروفاً من ذي قبل حتى وردت اليه بدويات يستقين ماء فشاهدن ربات المياه مرتديات ثياباً خضراء. فقلن لهن: هذا مقامُنا به تقطن لشفاء البشر. فانتشر ذكره بين العواقر يفدن اليه بالقرابين والمصابيح لنيل البرء والشفاء. وهو مختصّ بالنساء فقط ويدعونه المستشفى النسائي كما شرحه لي بعض الاذكياء الفكهاء.

ومما يجب التنبيه اليه ان اهل البادية قد رفعوا مزارات لاصحابهم واحبابهم طبقاً لسُنّة الحب المعهودة. فان اناساً عديدين تقوى فيهم ذكرى من يعزّ عليهم بعد موتهم فيرفعون لهم ضريحاً ليبقى اثراً مشهوداً. وقد يخيَّل اليهم ان ارواح اصدقائهم تعود اليهم بعد وفاتهم وترفرف بلطف فوق رؤوسهم. ففي الليالي المظلمة يشتدّ بهم الحب والتأثير فينتقلون الى قبر عزيزهم ويشعرون براحة بالقرب منه وكثيراً ما يسمعون اصواتاً يخالونها مناجاة احبابهم لهم ويصبح قبر الحبيب حيناً بعد حين مزاراً مكرساً

نشبت حرب طاحنة من زمن مديد بين اهل الكرك واهل جبال فتصادم الجمعان في وادي موسى في سهل البقيعة. فانكسر الكركيون شرّ كسرة. وسقط بين القتلى فارس يدعى مصلحاً فحمل الى الشوبك ودُفن هناك وذبحوا على قبره ذبيحة الاموات واصبح على تمادي الزمان ولياً ومزاراً

وربّما رووا الآيات الغريبة عن اولئك المكرّمين في المزارات. ففي الدخل مزار كريم يدعى «مزار الحُجّاج». والحُجّاج على زعم اهل البادية هم من عرب الحياة تمردوا على الحكومة المصرية فانزلت بهم من النكال الواناً ثم رمت جثثهم للكلاب فابت هذه الحيوانات ان تقترب منهم. وبينما الجموع تنظر الى هذه الامور وقد نالتهم عواطف الدهشة اذ نُشروا من الاموات وطردوا عنهم الكلاب وماتوا فايقن الحاضرون انهم قُتلوا ظلماً وعدواناً. فرفعوا لهم مزارات وعدوا من اولياء الله المقرّبين

على ان السائحين الصالحين قد اصابوا اجلالاً واكراماً لتقدمهم في مراقي الفضيلة البدوية. اخبروا عن الشيخ عبدالله في معان انه عاش بالصلاح والتقوى ينفر عن المثالب والشتائم وكان خطيباً ينذر القوم بالوعد والوعيد وينهاهم عن المنكرات والمحرّمات. فلم يجد في عشرته من يعي كلامه ويحفظه. فلمّا استوفى ايامه اظهر الله

كراماته بشفاء كثيرين على ما زعموا وله سطوة واسعة على الاسقام والامراض

وقد وجدنا بعض المزارات البدوية التي لا يُعرف لها تاريخ بل هي من مخترعات المخيلة الكثيرة الاوهام. فهناك مزارات مضحكة لم تنشأ الّا لتدلّ على عقل البدوي الديني وميله الى الخوارق المختلقة الفريّة كما ترى من رواياتنا السابقة

بالقرب من قرية ماعين غرباً رأيت دائرة من الحجارة يعرفها الاعراب ويرهبونها ويدعونها «مزار ابي رغيف». واصله ان فلّاحاً كان يحرث ارضه فوضع ارغفة خبز على صخرة وجلس يأكل. فعدّها فوجدها ناقصة فقال: باسم الله الرحمان الرحيم اني بالقرب من ولي عظيم. فترك الارغفة ومضى لحراثة ارضه وقد ناله رهب عظيم. فاشتغل ردحاً من الزمن وعدّها فوجدها ناقصة فايقن ان الولي اكلها. وكان هناك وحش يسحبها الى وكره وهو لا يدري فاخبر عرب العوازم الزيايدة بذلك فنحروا ذبيحة على تلك الصخرة وبنوا محيطاً بالحجارة دعوه مزار ابي رغيف الى ايامنا هذه. روى لي مزيد الترّاج قال: «ضاعت لنا أتن في تلك البقعة فررنا بالقرب من ابي رغيف ونذرنا له عشرة ارغفة ان وجدناها. وعدنا في المساء مكتئبين واذا بالاتن ترعى في محيط ابي رغيف فوفينا النذر وايقنّا بسلطة الولي»

طال الجدال بين الاعراب على سرقة جدي وكان المتهم جالساً بين الحضور ينكر السرقة. فقال له احد الحاضرين: لا ريب انك انت السارق ودلائل الخوف بادية على وجهك فقال: اقسم بالله ورسوله ما مددتُ يدي الى الحرام. فقام احدهم وقال: «لا بالله لا نقبل يمينك اقسم لنا بالملاعلة» فلما سمع ذكر الملاعلة امتقع لونه وقال: «لا اقسم ويل للحالف وويل للمحالف» فسألت احد الجلوس: وما هي الملاعلة. قال «هم جماعة من عرب عنزة اتوا بلاد مواب وماعين وسكنوا فيها وكانوا من اولياء الله الصالحين فانقرضت ذرّيتهم ولم يبق لهم نسل ودُفنوا في ناحية ماعين الشرقية الشمالية

ومن العشائر ما هي بجملتها من الابرار. فقد ورثت الايات عن اجدادها. فمنهم الزعيبيّون في السلط والقساطلة عند عرب الزيايدة وعشيرة الفقراء وشيخهم هو كنيعان الفقراء. فالزعيبيون هم طائفة من اهالي السلط رماهم الدهر بالفقر والنكبات فتركوا بيوتهم ونزلوا في الغابات الشمالية بين الوحوش وضاعتهم الفحم. ولهم

خزعبلات عديدة لا يقيم لها العاقل وزناً. قالوا انهم تآخوا مع الوحوش فلا تنزل بهم ضرراً. وقد تسلطوا على الحيات والعقارب فيدعونها باسمها ويضعونها في احضانهم فلا تؤذيهم

ومن اغرب ما عندهم من الاعتقادات انه اذا مات احدهم تثقل جثته فيضطر حاملوها ان ينزلوها عن الاكتاف. وكثيراً ما تشتاق الى منزلها فيشعر حاملوها بدافع يدفعهم الى العودة اليها. فيزعمون ان نفس المائت تلبث في مسكنها فلا تخرج منه الا بعد ثلاثة ايام. فيضربون بالطار وهو نوع من الطبول الصغيرة فترتاح النفس وتسير مع الجسد الى القبر

وكان في السلط حاكم يهزأ بخرافات الزعبيين والفقراء. وكان يترقب جنازة زعبي ليبحث عن صحة هذا الامر فرأى يوماً بالقرب من دار الحكومة جمعاً غفيراً وسمع اصوات الدفوف والطبول فقيل له: ان المائت يحاول الرجوع الى بيته. وكثرت الضوضاء وعلت الاصوات والجنازة لم تتقدم. فشعر الحاكم بمكرهم واستشاط غضباً واخذ سوطاً وجعل يضرب الحاملين. فخف الميت للحال ونقلوه باسرع ما يمكن ودفنوه. ولم تزل تلك العادة جارية عند الزعبيين والفقراء في البلقاء.

ومن مضحكات المزارات مقام «الشيخ خُنَيْزِير». واصله ان صياداً قتل خنزيراً بريّاً وعلّقه على شجرة ودفن رأسه في اصلها. فمرّ بدوي فقال: ما هذه الحجارة انه لا ريب وليّ من الاولياء. فقال له الصياد: هذا الشيخ خُنَيْزِير. ونام البدوي في اصل الشجرة فهاجت منه الافكار ولم يستطع ان يوضح ما حلّ به من الاحلام المزعجة. ولما انبثق الصبح نحر ذبيحة على القبر الجديد. واصبح هذا المزار مكرّماً بالقرب من عمّان

ومن الخوارق التي يذكرها الاعراب مدحاً لهذا المزار انّ اعرابياً وضع جرّة سمن على قبر الشيخ. والاولياء في شرقي الاردن تحفظ الودائع والامانات. فاجتاز به اعراب فقالوا: ما اكرمَ الشيخ خُنَيْزِير. اننا نتضوّر جوعاً فمدّ احدهم يده الى الجرّة فخرجت حيّة عظيمة تنفث السمّ القاتل. فايقن الجميع بواسع سلطة الولي

وفي غربي الكرك مزار شهير يدعى «النبي نوح». يقول الاعراب فيه: عاش نوح كالاعراب تحت المضارب ينحر الجزر للضيوف ويكرم مثواهم. فعظم امره عند

قومه وكثرت ماشيته. ولم يصبر نبيٌ على اذىً مثل ما صبر نوح على قومه وكانت ابنته تخبز في التنور فاوحى اليها ملاكُ الله قائلًا : اذا رأيت الماء قد نبع فادخلوا السفينة فاخبرت اباها بما سمعت . وكان اول من دخل السفينة الدرة وآخر الحيوانات الحمار . واقترف نوح اثمًا عظيمًا بكى عليه دهرًا طويلًا فاتاه ملاك وقال له : لا تنح يا نوح . فسمي نوحًا وكان اسمه عبد الرحمان ومات ودُفن غربي الكرك . فقد زرته فوجدته غنيًا بالتحف والهدايا مزينًا بانواع الانسجة مضيئًا بمصابيح الزيت والسمن

واما الخضر الاخضر ﷺ فهو مكرم في بادية البلقاء ومواب . فهو على زعم العرب اول من امتطى جوادًا وحمل رمحًا وانتضى سيفًا وعلّمهم الخوض في ساحات الوغى . وهو شفيع للاعراب يذكرونه في سائر احوالهم . دخل بدوي الى كنيسة مادبا وفيها صورة القديس جاورجوس على جواده الابيض فقال : يا خضر الاخضر يا ليتني ابيع مالي وحلالي وابتاع حصانًا كهذا

ويدّعي الاعراب انه لُقّبَ بالخضر لانه حيثما جلس اخضرّ ما حوله . ويقولون انه بلغ نهر الحياة في الجنة فشرب منه وهو لا يعلم وهو حيٌ الى يوم يُنفخ في الصور وتُنشر الاموات من القبور . وله إكرام في شرقي الاردن لا يكاد يناله غيره من الاولياء . ولهم في ضواحي الكرك عدة مزارات نذكر اشهرها : مزار السعيدات وعبد السيد والبديوي والسهيلي والشيخ يعقوب . وفي كفر ربّة الشيخ صلاح

٤ الوليات عند العرب

واما النساء الصالحات فقد نلن اكرامًا كالاولياء . فمنهنّ بنات العين في معان . على انه بالقرب من جبل نبا (Nebo) نجد «قبر الرفاعية» . وهي وليّة من عشيرة الرباعي توفاها الله عند عرب الزيايدة وأبدت صلاحها بعد موتها . وفي معان نرى «ام جديعة» ومزارها قائم بين اشجار ظليلة ومياه مترقرقة . وما هو الا صخرة مستديرة يبلغ ارتفاعها مترين . وزعموا ان امرأة كانت هاجعة الى جانب الصخرة فرأت حيةً هائلة عليها شعر ذهبي قد خرجت من الماء وقالت لها : انا وليّة هذا المقام أشفي السقيم العليل . وتواردت النساء الى ام جديعة . وترقد العاقر اياماً على تلك الصخرة وتحتك بها وتبكي بدموع سخينة . وكثيرًا ما تطوف حولها دفعات متوالية وتقدم لها من

النذور السمن والكحل والحناء. ومنهن من يقصصن شعورهن ويعلقنه ذكرًا لنعمة نلنها

ولقد جاءوا وليّة لتعزية الحزانى في الجنوب الغربي من رميلة الكرك تدعى «علياء» وهو مزار نسائي صرف ومن تاريخه البدوي ان شابًا انخرط في سلك الجندية على عهد ابراهيم باشا ونشبت معركة هائلة بين المصريين وبني صخر فسقط الشاب قتيلًا. فعلمت اخته علياء بمصابه فلبثت على قبره تندبه بابدع المراثي الى ان فاضت روحها على ضريحه شهيدة الحب الاخوي فدفنت بالقرب منه. وهي تعزي المحزونين وتفرج عن كربتهم

ويزعم الاعراب ان ارواح الاولياء تسكن في القبور حيث يرقد جثمانها. وهي كالبشر في جميع احتياجاتهم من اكل وشرب. فيدّعون ان الرياح والثلوج تؤثر بهم والجوع يفنيهم الى غير ذلك. والشرارات وهم ابعد الناس عن ربوع العمران لا يدرون قط ما هي حياة الصالحين والاولياء بعد وفاتهم. واليك الرواية الآتية تدلّ على اعتقادهم بالاولياء. في منحدر وادي الوجب محيطٌ من الحجارة يُدعى مزار سليم وهو جدّ الشرارات. فكان هناك في اعلى الجبل راعٍ شراري يسرح بنياقه وابله فعثر بعيرٌ له فتدحرج بشدة وسرعة عظيمتين فصاح الراعي مستنجدًا بجده الولي وقائلًا: «يا سليم جدي تلقّاه. يا سليم جدي تلقّاه» والبعير يدور كدولاب سريع. فغيّر صلاته وخشي على جده وقال: «جدي يا سليم تجنّب عن وجهه ليدهكك» اي لئلا يدوسك فيحطّك

٥ ما هي قوة الاولياء؟ ومن ايديها الوزنها؟

في شهر ايار سنة ١٩١٥ كنت جالسًا في قمة جبل ماعين على العشب الاخضر وكانت الازهار المتنوعة والاقاحين المتلونة منبسطة على الارض حولي. والشمس مرسلة اشعتها عليها فتثنيها الى حجارة كريمة. وبينما اتأمل في الطبيعة وما كتبتها يد المولى من الجمال اذ وافى جرجس الحدادين وجلس الى جانبي. فوقع نظرنا على مزار الملاعلة فسألته: «من اين سلطة الاولياء وكيف اعتقاد العرب في ذلك». وهو رجل شيخ خبير بزاعم الاعراب عارف بعواطفهم الدينية فقال: «ان المولى عزّ وجلّ سلّط الاولياء على البشر للخير او للشر. فمنهم من يسبغ آلاءه بوفرة على بني الانسان

ومنهم من يُنزل بهم المصائب والنكبات » . ثم اتسع مجلسنا وامتدَّت حلقتنا اذ رأينا الاعراب تحيّي الحاضرين وتجلس . فدار الحديث على الاولياء فقام احدهم وقال : « سلطة الولي من الله جلَّ جلاله . فان لم يمنحه القوة على صنع العجائب بعد موته يصبح قبره كاحد القبور المجاورة . والولي حرٌّ في عطائه يمنحه لمن يشاء ويرفضه لمن يشاء . وكم من اثيم عاش بالاوزار وغدا بعد موته مقرَّباً من الرحمان انه توَّاب رحيم . واليكم وصف ذلك بحكاية بدوية : « مات اثنان من قاطعي الطرق بوقت واحد وكان الاوَّل يقول في نفسه قبل موته : قد اقترفتُ من الجرائم ما لا يُحصى فاذا وقفتُ في يوم الحساب يزُجني الله الى الهاوية الى عذاب اليم ولكن استشفعُ بموسى وعيسى ونبي المؤمنين انه غفور رحيم . وكان الثاني يقول : مددت يدي الى الحرام ولكن لإكرام الضيوف والله يحبُّ المحسنين وباب المولى مفتوح للاجاويد . فغفر لهما المولى وجعل الثاني من الاولياء الصالحين رحمة منه وعطفاً » . وكان قوم من الحاضرين ينكرون سلطة الاولياء وهم نفر قليل ممَّن دبَّت في نفوسهم روح الكفر والزندقة . فكانوا يؤكدون ان الوهم يستولي على عقول المستغيثين فيعظم ويزداد في المخيلة فيؤثر في مزاجهم من خير او شر . وذكروا ان بدوية وفدت الى قبر الملاحة والوهم متجسّم في صدرها انها تنال الشفاء فاصابت البرء قبل وصولها الى المزار على انه لم يكن فيها الأمرض عصبي . ورووا ان المدعوَّة فضَّة المرازرة من عرب العوازم اشتدَّت عليها الحمى فجرَّت نفسها الى محيط ابي رغيف واكلت من ترابه فبرئت من مرضها . وختموا جلستهم على هذا المنوال

ومن مزاعم الاعراب انَّ الاولياء ارباب المزارات هم ظلّام في سلطانهم يستبدُّون به كيفما شاءوا دون تروٍ وافتكار . فقبل ان يستعدَّ القائد للغزو تدفعه نفسه الى ان ينذر نذرًا لاحد الاولياء الظالمين ان عاد كاسباً غانماً . فقد رايتُ ثلاثين فارساً من عرب المجالي قاصدين غزوةً فنذروا جزورًا لجعفر الطيَّار ان عادوا منصورين غازين

الغازون على ظهور جيادهم متأهبون للهجوم واذا بهم في مطلع الفجر امام اغنام ملتئمة وابل مجتمعة فيستنجدون شفيعهم ووليّهم ثم ينقضُّون على الغنيمة فيسوقونها امامهم . واذا لحقهم اعداؤهم تعود الفرسان الى الوراء ويصطدم الفريقان ويشتعل

وطيس الحرب بينهما. فهناك بين اصوات الرصاص وهدير البارود يرفع العقيد صوتهُ ويستغيث بالاوليا. وبين كرّ وادبار وعجاج وغبار نسمع: «يا كريم. ياستار. ياللخليل. يا للخضر» وكل يدعو ولي مصره وشفيع قطره.

وفي الامراض لا يمرُّ ذكر الاوليا. في خلدهم الّا بعد العلاجات البدوية والاعشاب الطبية فينذرون النذور ويقدمونها بعد الشفا.. فقد عهدتُ بدوية تُدعى كوكباً حاملة ابنها الصغير على ذراعيها بقلب كسير ودمع غزير قد نحرت نعجة في مقام النبي هوشع وفاء لنذرها ولمستْ ضريحهُ وقصّت شعرها وقدمته اقراراً بفضله وسلطة الاوليا. تبدو في الامراض العمومية التي تفتك فتكاً ذريعاً بالانسان والحيوان . فاذا حل الجدري في مضرب من مضارب الاعراب هرب المجاورون والاهلون انفسهم وتركوا المريض وحده يئنُّ بالاوجاع والآلام. وامراض البادية هي الطاعون والهواء الاصفر والحميات بانواعها . فمنها ما يحملها اليهم الحجاج فتنتشر بسرعة غريبة. ومنها ما يحدث باجتماعهم حول المريض وملامستهم له. فينذرون النذور وينحرون النعاج على قبور الاوليا.

علينا الان ان نسطر اضرار الاوليا. بالبشر بعد ان ذكرنا إحسانهم وإنعامهم المرأة العاقر لا يبتسم لها ثغر ولا يفرح لها قلب لان الاوليا. الظالمين قد ربطوا رحمها عن الولادة. فكل مصيبة من مصائب البادية تُعزى اما الى الارواح واما الى الاوليا. فلا يهدأ للبدوي بال الّا بالتقادم ووفا. النذور

ومن اسباب غيظ الاوليا. المعروفة عند الاعراب السرقة من مقامه. واليكم الاسباب في ذلك. اذا مرَّ المسافر في القفر يأخذهُ العجب اذ يرى بالقرب من مزار او رجم امتعةً ملقاة على الارض ولا حارس يحرسها كجوالق حنطة ومحراث واثاث وغير ذلك. فلا يتجرأ احد ان يمدّ اليها يداً اثيمة لانها وديعة لصاحب المزار. والولي حارس امين لكل وديعة. فهناك على رؤوس الجبال وفي سفح الاعلام وبطن الوديان وفي السهول الشاسعة نعاين الودائع ولا يمرّ في خيال البدوي ان يسرقها ولو كان في فقر مدقع

وربما تساقطت اسوار المقام وتداعت ابنيته فعلى المؤمنين ان يرفعوه ولو تكبدوا خسائر فادحة فان ثوابهم عظيم في الدارين . وقد يحدث ان بعض الجهال الاغبيا.

يستخدمون حجارة المزار لابنيتهم فيحلُّ بهم من البلاء ما لا يوصف . روى لي قيّم النبي هوشع ان سالم بن بديوي من السلط ابتاع كرماً وسرق من حجارة النبي هوشع ليبني له كوخاً فلما تمَّ البناء سقط بجملته

على الطريق الزوماني بين قرية لب وماعين مزار شهير يدعى حُرَيثين وهو مكرم عند عرب الحمايدة . فاجتاز به خليل الصنّاع من قرية مادبا فرأى اخشاباً تصلح لبناء بيته فحمل تلك الاعواد على دابته وقال : غنيمة باردة ومكسب من الله . فلما بنى بيتهُ وذبح الذبيحة المعهودة ذبيحة البيت هبط برمّته على العملة فصرخ الحاضرون : من الولي حريثين امن الولي حريثين !

غير ان صاحب المزار يبدي سلطته حينما يدعوه احد عبيده الصالحين . لينتقم من خصم اقوى منه بأساً واشدَّ بطشاً . كنا في مسيل الزرقاء . واذا ببدوي يروي لصاحبه ان عدوهُ قد مات شرَّ ميتة قال : وكيف ذلك . قال : استغثتُ عليه بولي الله عبده فاهلكه من حيث لا يدري . واني لسعى لاسرق شاةً لاقدّمها نذر شكرٍ ووفاء .

ومما يذكره العرب ان الولي رحيم غفور . حدثني الشيخ عبد المهدي قال : كنا في مضرب الشوابكة وكان البرد قارساً والسماء حالكة . فطلبنا حطباً فلم نجد الا على مزار هناك فاستأذنّا من صاحب المقام وحملنا حزمةً واوقدناها فلم ينلنا اذى لان الولي عارف بضعف البشر

هل يا ترى سلطة الولي محدودة في قبره ومزاره او تمتد الى الاماكن التي يدعونه فيها ؟ قد اجمع الاعراب ان الولي يكون اشد رحمة واوسع تأثيراً وشفقة في مزاره فانه يظهر ثمَّ القوة والسلطة . ولذلك نشأت عندهم الزيارات المقدسة فيحجّون الى ضريحه ومزاره كزيارة النبي موسى في غربي الاردن والنبي هوشع في شرقيه . بيد ان المولى انعم عليهم بان ينتقلوا الى حيث يدعوهم المؤمنون . فالنبي موسى يجول الاقطار ويقطع الربوع والامصار . وخليلُ الله ومقرُّهُ في حبرون ينتقل باسرع من لمح البصر الى البلقاء وبلاد مواب غير ان الخضر الاخضر يتجول بقدرة الله في كل مكان . على ان الاولياء الصغار لا تمتد سلطتهم الّا في مزاراتهم

ان غاية الزيارات لمقام الاولياء هي تقديم الذبائح والتقادم . فالذبيحة هي نعجة او شاة يطافُ بها حول المزار وتُنحر على اللحد او الرجم . فمنها ما هو سنوي ذكراً لنعمة قد نالوها في حياتهم ومنها ما هو شهري . فقد قرّب بنو صخر على قبر جدّهم اربعين شاة .

والفقراء انفسهم يهرقون على القبر حليباً او سمناً او زيتاً . وسنبينهُ في مقالتنا الآتية

والاعراب في سائر احوالهم يخشون الأقسام بالمزارات كما ابناه ولكن ربما اقسموا بما لا تعود اليهم تبعتها ولا يلحقهم اذاها . ودونكم النادرة الآتية : اختلف عرب العوازم وعرب الشوابكة على ارض فحكم القاضي البدوي ان يقسم شيخ العوازم على ابي رغيف . فنهض الشيخ باكراً قبل طلوع الفجر وامر عازمياً ان يحرث الارض قليلاً . واذا بغراب ينعب في السماء فوجد حلّاً لامره فالتأم الفريقان على مزار ابي رغيف ليقسموا القسم . فوقف الشيخ منتصباً في محيط الحجارة واستند على سيف وقال : « وحياة العود والرب المعبود وحياة ابي رغيف انه من حين نعق غرابها العازمي كرابها وانا واضعها بالعيون السود والربع التعود » . فصرخ القوم : الارض للعوازم . ولم يُصَب باذى لانه اقسم صادقاً

ومن قبيل ذلك ما حدث في مدينة الكرك منذ مئة سنة ونيف كانت وقعت تهمة على سعاد ابنة الشيخ مجلي . فبحث الشيخ بُدَيوي عن وسيلة لرفع العار عنها وتبرئتها امام ذويها وعشيرتها . كانت سعاد في البادية ترعى غنم ابيها فاتهمكت بالمنكر فهاج اهلها وراموا ذبحها كما هي سنّة البادية . فكانت تقسم بالاقسام العظيمة انها بريئة من اثمها فلم يسمعوا لها قولًا . فلجأت الى شيخ جليل القدر مشهور بحسن السيرة . فاستنجدته ان يخلصها من اقاربها . فأدخلها الى محرمه وامرها ان تتعرى وتزحف على الارض سبع مرات . فلما فعلت وقف الشيخ باهلها وقال : يا قوم انها بريئة مما تعزون اليها فقالوا : اقسم عنها ونحن نبرئها . قال : قولوا : علينا الله ومحمد رسول الله . فقالوا : علينا الله ومحمد رسول الله . فنهض الشيخ ورفع يده الى السماء واقسم انها من حين حَبَت (١ الى حين دَبّت (٢ وشبّت هي عفيفة طاهرة لم تفعل الفاحش . فعفوا عنها

وبعد سنين طويلة ادركوا براءتها وما اتخذه الشيخ بديوي من الوسائل لنجاتها فرفعوا له مزاراً يعرف اليوم بالكرك بالشيخ بديوي

هذا ما اتينا به عن الاوليا . تفكهة للخواطر به يقف المطالع على عواطف البدوي الدينية . فيدرك كيف تتكون الديانة عند العرب خصوصاً والساميين عموماً . والله هو ولينا ونعم الوكيل

١) حبا الطفل زحف ٢) دبَّ مشى على يديه ورجليه

كتاب الكتّاب لابن درستويه

عُني بنشره الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب العاشر

هذا باب القوافي والفواصل وفصولها

١ شروط القوافي وفصولها

اعلم انّ كتابتَها يُخالف كتابَ سائر الكلام في مواضع ويُوافقهُ في أُخر ونحن مبيّنون ذلك ان شاء الله

(٤١ ^r) ٢ القافية المقيَّدة وهي الموقوفة

فاذا كانت القافية مُقيَّدةً وانتهى الوزنُ عند انقضاء الكلمة جرى خطُّها مجرى سائر الكلام كقول امرئ القيس :

تَميمُ بنُ مُرٍّ وأشياعُها وكِندةُ حَولي جميعاً صُبُرْ

فان انتهى الوزن قبل انقضائها وآخرُها حرف تضعيف كان ايضاً كذلك الّا انّهُ لا يجوز أن يُشدَّدَ لئلا يزيد البيت على وزنه وذلك قولهُ ايضاً :

اذا ركبوا الخيلَ واستلأَموا تحرَّقتِ الارضُ واليومُ قُرْ

فان تمَّ الوزن قبل حرف لين من الكلمة او حرف لين معهُ حرفُ تضعيفٍ حُذِف الخطُّ بعد تمام الوزن من حرف التضعيف وحرف اللين كقول لبيد :

وقَبيلٌ من لُكَيزٍ حاضرٌ رَهطُ مَرجومٍ ورَهطُ ابنِ المُعَلْ

يريد « المعلّى » . وكقول الاعشى :

أليس اخو الموتِ مُستوثِقاً عليّ وان قُلتُ قد انسأَنْ

يريد « أنسأني » . وكقول عديّ بن زيد (٤١ ^v) :

لو بغيرِ الماء حَلقي شَرِقٌ كنتُ كالغَصّانِ بالماء اعتصارْ

يريد «اعتصاري». وليس في الفواصل ما يضطرّه تمام وزنٍ على الحذف وقياسهُ لو جاء شيءٌ منهُ او من السَّجع بعد حرفٍ بُني عليهِ السَّجعُ والفواصل المتقدمة وفيهِ حرف لين او تخفيف بعد تمام حرف ما تقدَّم من الفواصل والسجع ان تَحذفَ ذلك كما حُذف في الشعر لتتّفق الفواصلُ والسَّجعات . وانّما كان الواجب حذف ذلك في الشعر لئلا يثبت حرفٌ زائد على الوزن وليوافق الكتابُ الانشاء ولا تختلف القوافي

٣ المطلَق المنصوب

واذا كانت القافية مطلقة منصوبة وجب اثبات الالف على كلّ حالٍ منوّنةً كانت او غير منوّنة لخفّة الالف وانّ اكثرَ الانشاد على ذلك وهو من تمام الوزن لئلا يختلف ما بعد حرف الرويّ في الخطّ بحذف بعض الإطلاق واثبات بعضٍ كقول امرئ القيس (٤٥أ):

فقلتُ لهُ لا تبكِ عينُكَ انّما نُحاوِلُ مُلكًا او نموتَ فنُعذَرا

وقول الفرزدق :

فلو كان عبدُ اللهِ مولًى هجوتُهُ ولكنَّ عبدَ اللهِ مَولَى مَواليا

انّما هو « فنُعذرَ » و « مواليَ ». فان جاءت الفٌ ممّا يُكتب ياءً في قافيةٍ وسائر القوافي ألفات الإطلاق رُدَّت الياء الى اللفظ فكُتبت الفًا كقول رؤبة :

وائتبتُ أروَى والديونُ تُقضَا فمطلَتْ بعضًا وادّتْ بعضا

لئلا يختلف في الخطّ كما لا يختلف في اللفظ. ومنهُ قول حُميد بن ثور :

أيَحزُنُكَ الرَّبعُ بالدِّمْنَةِ وقد يُحزِنُ الربعُ بعد البِلَى

لأن في هذه الابيات ما هو من ذوات الواو فلا يجوز اثباتهُ على الياء . فانّ اثبات ذوات الياء معهُ بالالف أصوبُ . وان جاء شيءٌ من هذا الباب على لغة من ينوّن القافية لم يُكتب ايضًا الّا بالالف ولكن يُبيَّن تنوينُهُ بالشكل كانشادهم قول العجّاج:

ما هاجَ احزانًا وشجوًا قد شجا من طَلَلٍ كالأتحميِّ أنهجا (١

لأن التنوين والنون الخفيفة هما يثبتان الّذَين وهما اقوى ممّا لا (٤٥ب) أصل لهُ في التنوين وذلك مثل قول الاعشى :

---

١) في ذيل الكتاب شرح « الاتحمي » بالكتّان و « أنهجا » اي بَلي

وإيّاكَ والميْتاتِ لا تقربنّها ولا تَعْبُدِ الشيطانَ واللهَ فاعبُدا

وان كان شيءٌ من هذا الباب ممدودًا كُتب بالالفَيْن للإطلاق منوّنًا كان او غير منوّن كقول الشاعر :

ما هاج عمرُو حين أدْخلَ حلْقهُ يا صاحِ ريشَ حمامةٍ بل فآءَا

وقول مُسلم بن عُطيّة :

لا رأتْ في ظهريَ انحناءَا أجأتْ وكان عهدُها إجلاءَا

وممّا يُشبه هــذا الباب من فواصل الآيات قوله جلّ وعزّ (١ : « أطعْنا اللهَ وأطعْنا الرسُولا » . وقوله (٢ : « أطعْنا سادَاتِنا وكُبَرآءَنا فأضلّونا السبيلا » .

٤ المطلَق غير المنصوب

واذا كانت القافية مُطلقةً مرفوعةً او مجرورةً حُذفت منها الواوُ والياء اللتان للإطلاق وان كانا من تمام الوزن إتمامها وأنّ أكثرَ الانشاد يحذفهما وان العرب لا تكاد تقف في غير الشعر على واو قبلها ضمّة وذلك مثل قول امرئ القيس(٣)(:

قفا نبكِ من ذِكرى حبيبٍ ومنزلِ بسقطِ اللوى بين الدَخُول فحوملِ

وقول طرَفة :

لخولةَ أطلالٌ ببرقةِ ثهمدِ تلوحُ كباقي الوشمِ في ظاهرِ اليدِ

فان جاء في مثل هذه القصائد بيتٌ حرفُ إطلاقهِ من نفس الكلمة او هو علامة مُضمَرٍ فقد اثبتهما قومٌ ولم يُجروهما مُجرى الزائدِ للإطلاقِ وحذفهما آخرون كما حذفوا الزائد في الشعر المقيَّد بعد تمام الوزن . والقياس حذفُ ذلك لئلّا يختلف خطُّ القوافي ولأنّها من حروف اللين المستثقلة . والعرب قد تُنشِدُهُ بحذف هذه الحروف ايضًا ويُحذَف مثلها في غير الشعر عند الوقف كقولهم : « لم أدرِ ، ولم يكُ » ومع ذلك انّ حرف الرويّ اللازمَ ما هو قبلها وذلك مثل قول امرئ القيس (٣ :

أفاطمَ مهلًا بعضَ هذا التدلُّلِ وإن كنتِ قد أزمعتِ صرمي فأجملِ

---

١) سورة الاحزاب ٦٦ ٢) فيها ٦٧ ويروى في المصاحف : سادَتَنا

٣) الابيات التالية تروى ايضًا في دواوينها مع حروف الاشباع « فأجملي . تكلّمي . وأسكني . مدّوا . ضنّوا . تعرفوني » الخ

يريد « أجيلي » . وقول عنترة :

يـا دار عبلة بالجواء تكلّمي   وعِمي صباحاً دار عبلة واسلمي

يريد « تكلّمي واسلمي » . وقول الحطيئة :

أقلّوا عليهم لا أبا لأبيكم   من اللوم او سدّوا المكان الذي سدّوا

(٤٣) يريد « سدّوا » . . . وقول قعنب :

مهلاً أعاذل قد جرّبتِ من خُلقي   أنّي أجود لأقوام وإن ضنّوا

يريد « ضنّوا » . وقول سُحيم :

أنا ابن جلا وطلّاع الثنايا   متى أضع العمامة تعرفوني

يريد « تعرفوني » . وقول زهير :

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ   ـض القوم يخلق ثم لا يفري

يريد « يفري » . وقول الآخر :

دعوت قومي ودعوت معشري   حتى اذا ما لم أجد غير السّري

كنت امرءاً من مالك بن جعفر

يريد « معشري وسري » . وقول العجاج :

جاري لا تستنكري عذيري   سيري وإشفاقي على بعيري

يريد « عذيري وبعيري » وقول النابغة :

اذا حاولت في أسد فجوراً   فانّي لست منك ولست منّي

يريد « منّي » . وقد احتاط قوم في مثل هذا فأثبتوا علامات الضمير خاصة بائنة من القوافي في اواخر السطور على ما انا ممثّله كقول الشاعر (٥٤) :

لا يُبعد الله اصحاباً تركتهم   لم أدرِ بعد غداة البين ما صنع وا

وقول الآخر :

كذب العتيق وماء شنّ بارد   إن كنت سائلتي غبوقاً فاذهبـ ي

وقياس ما كان من المقصور من ذوات الياء على هذا المذهب ان يُكتب مثل قوله :

فقاتله الله من موقف   وقاتل أذكاره ما مضا ى

وهو قبيح وهو في علامات الضمير احسنُ وأقرب من وَصْلها بالقافية ولا يَحْسُن في مثل قوله :

أَلا أَنْعِمْ صَباحًا أيها الطَّلَلُ البالي   وهل يَنْعَمَنْ مَنْ كان في العُصُرِ الخالي

والاختيارُ في جميع هذا ما قدّمنا من الحَذْف لأَنّه لا تَتَّفق القوافي في الخطّ الّا بحذف ذلك او اثبات حروف الإِطلاقِ الزائدة وذلك لا يجوز . ونظير هذا الحذف من فواصل الآيات قولُهُ جلَّ وعزَّ (١ : « رَبِّ ارْجِعُونِ » . وقولُهُ (٢ : « فأخافُ ان يقْتُلونِ . واخاف ان يكذّبونِ . ولولا ان تُفَنِّدونِ (٣ . وقولُهُ : « فبِمَ تُبَشِّرونِ (٤ . ولكم دينكُمْ ولِيَ دِينِ (٥ . والكبيرُ المُتَعالِ (٦ . ويومَ التنادِ (٧ . واليهِ مَآبِ (٨ . والليلِ اذا يَسْرِ (٩ » . وهذا اكثر من ان يُحصَى . فان جاءَت قصيدةٌ جُعِل حرف الاطلاق فيما هو الرَّوِيّ ولم يلزمهُ ما قبلهُ كقول الآخر :

خالي عُوَيْفٌ وأَبو عَلِيّْ   والحامُ الثاني وعَتّابُ البَنِيّْ

(٣٤٢) وقول الآخر :

قتلتُ عِلْباء وهِنْدَ الجَمَلِي   وابْنًا لصوحان على دين علي

لم يجُز الحذف فيهِ لأنّ القوافي تذهب ثمّ يختلف ما قبلها من الحروف فَقِسْ على ذلك ان شاء الله

٥ ما يُرَدُّ من القوافي والفواصل الى القياس وغيرهِ

واعلم انّ الحروف التي تُحذَف في غير القوافي للتخفيف او تُبدَل او تُزاد كواو عمرٍو والصَّلٰوة والف الثَّالثة وثمانية وخالدٍ ومالكٍ والسلام عليك والنون الخفيفة والتنوين وغير ذلك ممّا لم نذكرهُ واذا وقعت في قافيةٍ او رِدْفِ قافيةٍ او تأسيسها زالت عن ذلك الى ما يوجبهُ القياس او يساويهِ بمثلهِ من سائر قوافي قصيدتهِ فمن ذلك قولُ الأحوص :

سلامُ اللهِ يا مَطَرٌ عليها   وليس عليكَ يا مَطَرُ السلامُ

١) سورة المؤمنين ١٠١   ٢) سورة الشعراء ١١ و ١٣   ٣) سورة يوسف ٩٤
٤) سورة الحجر ٥٤   ٥) سورة الكافرين ٦   ٦) سورة الرعد ١٠   ٧) سورة المؤمن ٣٤   ٨) سورة الرعد ٣٦   ٩) سورة الفجر ٣

وقولُ جرير (٤٤ ب) :

وقد دَمِيَتْ مَوَاقِعُ رُكْبَتَيها . من التَّبْراك ليس من الصَّلاتْ

وقول الاعرابيّ :

وحَطُّوا لي أبا جادٍ وقالوا تعلَّم سَعْفَصًا وقُرَيْشِياتْ

وقول طَرَفةَ :

رأيتُ سُعودًا في شُعوبٍ كثيرةٍ ولم أرَ سَعْدًا مثل سَعْدِ بن مالكْ

وقول الأُخرى :

حتّى اذا ما بلغتْ غايَتَهْ زوّجتُها مَرْوانَ او مُعاوِيَهْ

فلو لم تُرَدِّدْ هذه الاشياء الى ما رأيت لاختلفتْ صُوَرُ القوافي والأَرْداف والتأسيساتِ . فامّا هاء الوقف فتثبتُ في القافية ولا تُجرَى مجرى حروف اللين وانْ كانت زائدةً لأنّها حرفٌ صحيح وهي من تمام الوزن وهي تُضارع الفَ الإطلاق في المنصوب ألا تَراها تُبدَل منها الالف في القوافي كثيرًا كقول القَطامي

قِفي قَبْلَ التفرُّقِ يا ضُباعا ولا يكُ موقفٌ منكِ الوَداعا

وكقول الآخر :

ألا أضحتْ حِبالُكُمُ رِماما وأضحتْ منكَ شاسِعةً أُماما

(٤٤ ب) وانّما هي . ضُباعةُ وأُمامةُ . وتبدل منها في الشعر وغير الشعر ايضًا في قولهم . انا . قال الشاعر :

قد علِمتْ سَلمى وجاراتُها ما قطّرَ الفارسَ الّا أنَا

والاصل هاء الوقف أنّه قال الشاعر :

يَا ما لِيَ الليلةَ يَا لِيَهْ أَوْدى بِنَعْلَيَّ وسِرْبالِيَهْ

وقال ابن الرُّقيّات :

يكثرُ العواذلُ في الشّبابِ يَلُمْنَني والُومُهُنَّهْ

ونظير هذا من الفواصل قوله جلّ وعزّ (١:٥ وما ادْراكَ ما هيَهْ . وما أغنى عنّي ماليَهْ هلكَ عنّي سلطانِيَهْ (٢ . فلولا مكان الفاصلة والقافية لما جاز اثباتها مع ما ينفرد كما كنّا بيّنّا . وفي ما ذكرنا من امر القوافي والفواصل دليلٌ على ما لم نذكر

١) سورة القارعة ٥ ٢) سورة الحاقّة ٢٨

الباب الحادي عشر

(56ʳ) هذا باب رسوم خطوط الكتب وفصولها

١ جملة عدد الحروف وهيئآتها واختلاف صُوَرها

اعلم انّ حروف المعجم ثمانية وعشرون حرفاً مختلفة الالفاظ وصورُها ثماني عشرة صورة لتشابه صُوَر الحرفين منها والثلاثة كالبآء والحآء والتآء، والدال والذال والرآء والزاي ونحو ذلك ولولا التشابه لكانت لكلّ حرف منها صورة. وقد تؤول هذه الثماني عشرة صورة الى خمس عشرة صورة ايضاً في الاتّصال لتشابه صور القاف والفاء المتّصلتين اذا ابتُدِئتا او توسّطتا . وتشابُهِ اليآء والنون والبآء والتآء والثآء المتّصلات اذا ابتُدِئنَ او توسّطنَ . ومن الحروف ما له صورتان واكثرُ من ذلك لِما يلحقه من التغيير في الاتّصال والانفصال والتوسّط من التعريق والتمقيف والمطّ والقطّ في مثل السين والصاد والقاف والواو والنون واليآء. وفي الفآء والبآء والتآء (56ᵛ) والثآء واللام. وفي العين والغين والجيم والحآء والخآء. وفي الدال والذال والالف والزاي وفي الكاف والهآء وكما يلحق الهآء من الشقّ والعين من العطف والإقفال والفتح فيزيد ذلك كلّه في صور الحروف تارةً وينقص منها تارة أخرى وجُملة ذلك على اختلافه اربعون صورة مع ما فيها من التشابه سوى ما لا صورة له ثم يؤول الى خمس وثلثين صورة لا يُشبه بعضُها بعضاً . والذي لا صورة له مدّتان وهمزة فانّ مدّتي الحرف المضموم والحرف المكسور لم توضع لهما صورة في المُعجم كما وُضعت لمدّة الحرف المفتوح الالف ولكن كُتبتا بصورة الواو واليآء كما كُتبت التآء والثآء على صورة اليآء وكُتبت الهمزة على صورة حروف اللين وعلى الحذف اتباعاً لتخفيفها في اللفظ على ما كنّا شرحنا في باب الهمز . وذكروا انّ الخليل زاد في حروف المعجم صورة الهمز فلم يعتمد عليها الناس وجعلوها شكلةً لها . فامّا لام الف فحرفان مُمتّان فُعل ذلك بهما لاشتباه صورهما وقد مضى ذكرهما متفرّقين في حروف المعجم

واعلم انّ اصل الخطّ واحد وصورة كلّ حرف من المعجم في كلّ (57ʳ)

الخطوط على شكل واحد وانّ الحروف كلها متجانسةٌ متشابهةٌ وان اختلفت وتباينت لتصرّفها واقتنانها كخطوط المصاحف والوراقين والكتّاب وغيرهم وكالثقيل منها والخفيف والامساك والسريع والجليل والدقيق إلا يلحق ذلك من الإدغام والتبيين او الفتح او التعويز او الكسر او التعليق او التسوية او التحريف او تفريق الحروف وجمع السطور او توصيف الحروف والتبعيد بين السطور ونحن نذكر كلّ صنف من هذه الاصناف في فصل من فصول هذا الباب مشروحاً ونرسم لجملة كل جنسٍ منها جدولاً يُغني عن طول الشرح ويُدرك بالحسّ ونبدأ برسم اصول صور المعجم كلها على اختلافها وما فيها من اتّصال او انفصال ومطّ وقطّ وحذف وشقّ ونَصب وشَكل وتعقيف وتعريق وفتح وعطف واقفال وتثليث وتدوير وضرب من التغيير في جدولٍ جامع لجملةٍ إماماً يُكتفى برسومه عمّا سواهُ يتلو هذا الفصل ان شاء الله (انظر جدول رسوم الحروف متّصلةً ومنفصلةً)

(58*) ٢ شرح رسوم هذا الجدول مفصّلاً

امّا «الالف» فاحد الحروف السّتّ التي لا تُوصل بما بعدها ولها صورة واحدة حيث وقعت مبتدأةً او متوسّطةً او متأخرة او مُنفردة غير انّها تتّصل بما قبلها اذا كان من الحروف المتّصلة في كلمتها كما ترى

ا ـا ـا ا

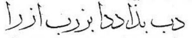
وامّا «البآء والتآء والثآء» فمن الحروف المتّصلة ولكلّ حرفٍ منها صورتان فاذا كنّ مُبتدأت او متوسّطات فهنّ مقطوعات لا مطّ فيهنّ الّا عارضاً . فاذا كنّ متطرّفات او منفردات فهنّ ممطوطات كما ترى

ببـ ب تتـ ت ثثـ ث

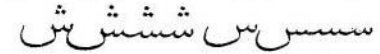
(59*) وامّا «الجيم والحآء والخآء» فمن المتّصلة ولكل واحد منها ايضا صورتان فاذا كنّ مبتدآت او متوسّطات فانّها محذوفات لا يُعقفن . واذا تطرّفن وانفردن فهنّ مُعرّقات كما ترى



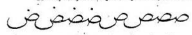
واما • الدال والذال • فن الاحرف الستّة المقطعة وصورتهما صورة واحدة حيث وقعتا الّا انهما قد يتّصلان بما قبلهما وان انقطعا مّما بعدهما وكذلك • الراء والزاي • بمنزلة الدال والذال كما ترى



واما • السين والشين • فمن المتّصلة ولكل واحد منهما صورتان وان كانا مبتدأين او متوسّطين فيها محذوفان غير معرّقين واذا تطرّفا وانفردا فانهما مُعرّقان كما ترى (٥٩)



و • الصادُ والضادُ • لهما صورتان معرّقة ومحذوفة وهما في الاتّصال والانفصال والابتداء والتوسّط والتطرّف والانفراد بمنزلة السين والشين كما ترى



• والطاء والظاء • من المتّصلة ولكل واحد منهما صورة واحدة حيثما وقع كما ترى



• والعين والغين • من المتّصلة ولكل واحد اربع صور فاذا (٦٠) كانا مبتدأين فانهما مفتوحا القطيفة غير معقّفين واذا توسّطا فهما مُقفلان غير مفتوحين ولا معقّفين واذا تطرّفا فهما مُعقّفان مُقفلان واذا انفردا فهما مفتوحان معقّفان كما ترى

عععع ع غغغغ غ

و«الفاء» من المتّصلة وله ثلاث صور اذا كان مبتدأ فهو مثلّث محذوف واذا كان متوسّطاً فهو مستدير مقطوط . واذا تطرّف فهو مستدير ممطوط واذا انفرد فهو مثلّث ممطوط كما ترى

ففف ف

و«القاف» من المتّصلة وله ثلث صور هو في الابتداء مثلّث محذوف . وفي الوسط مدوّر محذوف وفي الطرف وفي الانفراد مثلّث مُعرّق كما ترى (٤٦)

ققق ق

و «الكاف» من المتّصلة وله صورتان اذا كان مبتدأ او متوسّطاً فهو مشكول واذا كان متطرفاً او منفرداً فمرّى من الشكل كما ترى

ككك ك

والكتّاب يكتبونه في الابتداء والتوسّط منصوباً بتركه متطرفاً ومنفرداً .

و«اللام» من المتّصلة وله صورتان اذا ابتدئ به او توسّط حذف واذا تطرّف او انفرد عُرّق كما ترى

للل ل

وقد تُحال اذا وقع قبل الالف خاصّة متّصلاً به حتّى (٤٤) يتداخلا فيكتب كما ترى

لا

و«النون» من المتّصلة ولها صورتان محذوفة في الابتداء والتوسّط ومعرّقة في التطرّف كما ترى

نن ن

و«الميم» من المتّصلة وله صورتان محذوفة في الابتداء والتوسّط ومعرّقة في الانفراد كما ترى

ممـم م

و«الواو» من المنقطعة وصورتها واحدة حيث وقعت غير أنها تتّصل (*61) بما قبلها اذا كان مما يتّصل كما ترى

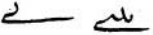
ومو و

و«الهاء» من المتّصلة ولها صورتان مشقوقة في الابتداء والتوسّط صحيحة في الانفراد والتطرّف كما ترى

هـهـ ه

و«الياء» من المتّصلة ولها صورتان محذوفة منتصبة في الابتداء والتوسّط ومعرّقة مُميَّلة في الانفراد والتطرّف كما ترى

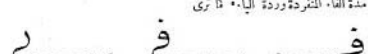
ىى ى

وقد يُرَدّ تعريقها فيَنعطف من تحتها كما ترى 

(62°) واماّ «لام الف» فخارج من جملة حروف المعجم وصورها الاثنا حرفان مقرونان وقد ذكرنا ذلك في موضعهِ

٣ معرفة تقليب القلم في مجالهِ

اعلم انَّ من الحروف والمَدَّات والتعريقات ما يُكتَب بوجه القلم ومنها ما يُكتَب بحرفهِ ومنها ما يكتب في عرضهِ ومنها ما يُكتَب بسنّهِ وقد رسم الكتّاب في كلّ ذلك رسماً يُعمَل عليهِ قالوا «اذا ابتُدِئ بالمدّة وجب ان يُدار القلم على سنّهِ مثل قطعة الطآء والفآء. واذا وُصلت المطّة بحرف قبلها كُتبت بوجه القلم مثل مدّة الفآء المنفردة وردّة اليآء» كما ترى



والقلم في كلّ نوع من انواع الخطّ مجالٌ ليس لهُ في غيرهِ وانا نُمثّل صورة حروف المعجم في جدولين لنوعين من خطّ الكتّاب يُستَدَلّ بهما على ما سواهما ونوقع تحت كلّ حرف منها مجال القلم بهِ لئلّا يطول الكتاب بما يُخرجهُ من حدّ الهجاء الى غيرهِ ونؤخّرهُ استقصاء سائرهِ الى ان أُثبتهُ كتاب تعليم الخطّ ان شاء الله (62°) (اطلب جدول الخطّ الخفيف وجدول خطّ الامساك)

عيد جميع القديسين

نظر تاريخي طقسي اجتماعي

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

في غرّة هذا الشهر تحتفل الكنيسة الكاثوليكيّة بأحد اعيادها الكبيرة الثابتة

اعني به عيد جميع القديسين فتدعو سائر ابنائها الى ان يقيموا الافراح ويرفعوا من الارض اصوات التهاني الى مقام اخوتهم الظافرين باكاليل المجد بعد جهادهم في ميدان الحياة الفانية فيذكروا اعمالهم الصالحة ويأتسوا بامثالهم الحسنة ويستمدّوهم لأن يشاطروهم يوماً افراحهم السرمديّة . فأحببنا بهذه النسبة ان نكتب في ذلك فصلاً موجزاً تضمّنه ما نعرف من تاريخ هذا العيد وخواصه الطقسيّة وغايته الاجتماعيّة

١ تاريخ عيد جميع القديسين

ورثت الكنيسة المقدّسة إكرام اوليائها من ختنها الالهي ورُسله الابرار . بل كان الله عزّ وجلّ سبق واوحى في اسفار العهد القديم إكرام الملائكة (خروج ٢٣ : ٢٠) وتمجيد اولياء إسرائيل ورجالهم الكرام (ابن سيراخ ف ٤٤ — ٥١) . فأيّد السيّد المسيح وتلامذته هذا الاكرام باقوالهم ومثالهم . فانّ الربّ لذكرِ المجد عظّم في بشارته الملائكة (متّى ١٨ : ١٠) والانبياء (لوقا ٤ : ٢٥ — ٢٧) ولم ينكر على اليهود تشييدهم القبور لاكرام رفاتهم (متّى ٢٣ : ٣٩) . واطرأ يوحنّا المعمدان بعد وفاته (يوحنّا ٥ : ٣٣) وكرّر غير مرّة انّ ما يؤدّيه الناس من الاكرام لذويه يؤدّونه لشخصه الكريم (لوقا ١٠ : ١٦) وقد بالغ في رفع شأن الابرار الذين تمّموا وصاياه حتّى دعاهم باخوته واخواته وامّه (متّى ١٢ : ٥٠)

واسرعت الكنيسة بعد صعوده تعالى الى السماء فأدّت لاوّل شهدائها القديس اسطفانوس اكراماً جزيلاً (اعمال ٨ : ٢) وعمّ ذلك جميع الكنائس التي اقامت الاعياد منذ اوائل النصرانيّة ذكراً للشهداء كما تثبته التواريخ القديمة واقوال الآباء وآثار النصرانيّة في دياميس رومية وفي اماكن مختلفة . فكان المؤمنون في يوم تذكار استشهادهم يجتمعون عند قبورهم فيزيّنونها باكاليل الزهور وضروب الحليّ ويوقدون عندها الانوار ويقدّمون الذبيحة الطاهرة عليها ويستشفعون باوليائها . وكانوا يدعون ذلك اليوم « مولد الشهيد » (natale, natalitia) يريدون مولده للسماء وكان تاريخ وفاته منقوشاً على صفيحة قبره . وقد ذكر ذلك في القرن الثالث اوريجانس في ميمره الثالث . وكذلك معاصره القديس قبريانوس في رسالته الثانية عشرة يوصي المؤمنين بان يحفظوا تاريخ موت الشهداء ليحتفلوا به كلّ سنة . ولدينا

عدّة مواعظ القاها كبار الخطباء كالقديس يوحنا فم الذهب والقديس غريغوريوس النزينزي والقديس امبروسيوس في تلك المواسم اطراء لفضائلهم وشهامتهم وربّما اقاموا فوق قبورهم مشاهد او كنائس على اسمهم فنها ما بقي الى قرون النصرانية الاولى وقد بقي من بعضها آثار صالحة الى اليوم. ولدينا في المخطوطات القديمة ادعية وتسابيح كانت تتلى يوم تذكارهم التماساً لشفاعتهم عند الله واستمداداً لبركاتهم لا يسمنا ألا الاشارة اليها فقط

على انّ عدد الشهداء بلغ بعد مدّة الألوف المؤلفة فلم تكفِ كلّ ايام السنة لتذكار افرادهم فضلاً عن كون المسيحيين لم يعرفوهم كلّهم. فسدّاً لهذا الخلل اتخذت الكنائس يوماً خصوصياً لذكرهم اجمالاً

واقدم ما ورد من ذلك في الكلندارات كلندار الكنيسة الكلدانية يرتقي الى السنة ٧٢٣ لليونان الموافقة لسنة ٤١١ للمسيح. وهو اقدم مخطوطات المتحف البريطاني بالحرف الاسطرنجيلي نشره بالطبع العلّامة رَيْت (G. Wright). فهناك يُذكر عيد جميع الشهداء يُحتفل به كلّ سنة يوم الجمعة الواقعة بعد عيد الفصح. فقرّرت ذلك الكنائس الكلدانية والنسطورية واضافت الى ذكر الشهداء غيرهم من القديسين المعترفين

امّا الكنيسة اليونانية فكلنداراتها القديمة تذكر عيد جميع الشهداء (ثم دعتهُ بعد حين بعيد جميع القديسين) في يوم الاحد الواقع بعد العنصرة وهي لا تزال على ذلك الى يومنا الحاضر وتعلن به بكلام مهيب يشعر بتعظيمها للعيد هكذا: «في هذا اليوم وهو الاحد بعد العنصرة نحتفل بعيد غاية في الجلال والبهاء اعني عيد جميع القديسين الذين وُجدوا في سائر المعمور في آسية وافريقية واوروبة في الاقطار الشمالية والجنوبية معاً والذين نشأوا في كلّ العالم كزهور عطرة ومخلّدة رواها الروح القدس بمياه نعمه الالهيّة». وفي هذا اليوم نسمه ألقى القديس يوحنا فم الذهب احدى مقالاته البليغة في الشهداء الذين ماتوا لاجل الايمان في جميع اقطار العالم (اطلب مجموع اعماله ج ٢ ص ٧١١)

وكانت الكنيسة الارمنية تحتفل قديماً بعيد جميع القديسين في يوم السبت الواقع بعد الاحد العاشر التابع لعيد ارتفاع الصليب. وكانت خصّت الاثنين من ذلك

الاسبوع لذكر جميع الملائكة والثلثاء لذكر جميع الانبيا. والخميس لذكر جميع الرسل فمَيَّتْ السبت• موسماً لجميع القديسين القدماء. والمحدثين المعروفين والمجهولين •

واشبهت الكنائس الغربيّة كنائس الشرق في اكرامها لمواكب الشهداء والقديسين . ولعلَّ الكنيسة الرومانيّة سبقت في ذلك جميع الكنائس فانَّ القديس اوغسطينوس في رسالته ال ٥٠ يصرّح بأنها ورثت تلك العادة من تقليد الرسل . وقد جاء ذكر هذا العيد في كتاب الرسوم الرسولية (ف ٥ ع١٨) . على انَّ الكنائس الغربيّة اختلفت في تخصيص يوم العيد فكانت كلّ منها تعيّن له يوماً تراه اوفق لاحوال المؤمنين . فلمّا كان القرن السادس فكّر البابا القديس غريغوريوس الكبير في تشييد كنيسة عظيمة يقيمها لاكرام جميع الشهداء. فرأى في رومية العظمى هيكلاً فخيماً كان بناؤهُ سنة ٢٧ قبم مرقس وسباسيانوس اغريبا (✝ ١٢ ق م) صهر اوغسطس قيصر على اسم جميع الآلهة فدعاهُ لذلك باسم بنثيون (Pantheon) . وكان هذا الهيكل مهملاً منذ سقوط الوثنيّة وانكساف نورها وتلاشي آلهتها بسطوع شمس النصرانيّة . على انَّ الموت عاجل القديس المذكور فقام بعدهُ خلفاً على تدبير الكرسي الرسولي بونيفاسيوس الرابع (٦٠٨–٦١٥) فاراد ان يُحقّق بالفعل رغبة سالفه فاستمد ذلك الهيكل من فوقاس ملك الروم وعُني بترميمهِ واصلاحهِ وتطهيرهِ من كل سمات الوثنيّة ثمَّ دشّنهُ وكرَّسهُ بروني عظيم للسيدة البتول سلطانة الشهداء. ولجميع شهداء النصرانيّة في العالم باسرهِ فعُرف مذ ذلك الحين بهيكل سيّدة الشهداء. او بسيّدة الهيكل المستدير (N–D. de la Rotonde) لاستدارة قبّتهِ الجميلة السامية العلوّ وامر الحبر الاعظم بتجديد العيد في كلّ سنة في ١٣ من شهر ايار . وكانت بعض الكنائس خصّت ذلك اليوم بالعيد المذكور . كما يشهد عليهِ القديس افرام في نشيدهِ النصيبيني السادس الذي تغنّى بهِ في السنة ٣٥٦ (١

وفي السنة ٧٣٢ اقام البابا غريغوريوس الثالث معبداً على اسم جميع القديسين في كنيسة مار بطرس الكاتدرائيّة فزادت بذلك غيرة المؤمنين في اكرام اولياء الله . وبقي الامر كذلك الى خلافة الحبر الاعظم غريغوريوس الرابع (٨٢٧ – ٨٤٤ م) فانهُ لمّا

---

١) اطلب هذه الاناشيد التي طبعها العلاّمة بيكل G. Bickell : S. Ephraemi Carmina Nisibena ,p. 23 et 89

رحل الى فرنسة سنة ٨٣٧ وبلغهُ اختلاف الكنائس فيها بخصوص هـذا العيد ابرز براءة امر يوجبها الكنائس اللاتينيَّة جمعاء بان تخصَّ اليوم الاوَّل من تشرين الثاني لإكرام سائر القديسين ساكني الجنان السرمديَّة · فبلغ بامرهِ هذا العيد اوج الابَّهة وذروة الشرف وجعلت له الكنيسة براموناً استعداداً لإحتفاله بالصوم والفرائض المقدَّسة · بل كانت بعض الكنائس تقدّم عليهِ في القرون الوسطى ثلاثة ايَّام صوم تنويهاً بمعظم شأنهِ · ثمَّ جرت الكنائس الشرقيَّة الكاثوليكيَّة على منوال الكنيسة الرومانيَّة فتعيد اليوم كلّها عيد جميع القديسين في غرَّة تشرين الثاني ما عدا الكنيسة اليونانيَّة التي ثبتت على كلندارها القديم

٢ طقسيات هذا العيد

انَّ رُتَب الكنيسة في هذا النهار تُشعر كلّهـا بالفرح والسرور اذ تفتح لابنائها أروقة السماء ليعاينوا في بيت الآب المنازل الجليلة والعروش الملوكيَّة التي يجلس عليها اخوتهم فيتمتَّعون بالسعادة الخالدة · فكأنَّ كنائس الغرب والشرق تتنافس في تعظيم اصحاب العيد فتستخرج من كنوز الاسفار المقدَّسة ومن اقوال الآباء وتعاليم الملافنة ابلغ صفاتهم وأكرم دُرر معانيهم لتصوغها تيجاناً تجعلهـا على مفرق اولئك الشهداء الذين غلبوا العالم وشهواته ولم ينخدعوا ببهرجته وزخارفه الباطلة

واوَّل ما نجده في هذه الفرائض الطقسيَّة أنها تشمل كافَّة الابرار مباشرةً بربّ المجد عينه وثالوثه الاقدس ومنحدرة بالتدريج من شخص السيّد المسيح الكريم الى والدته سلطانة جميع القديسين الى ملائكته على اختلاف طبقاتهم ثمَّ الى انبيائه ثمَّ رُسله فشهدائه ومعلّميه ومعترفيه الى ان تنتهي بالعذارى والارامل فلا يفوتها احد من اهل السماء المشاركين لابن الله في مجده كما شاركوهُ في برارته وحمل صليبه

وبياناً لذلك تتلو الكنيسة اللاتينيَّة في قدَّاسها فصـلاً من رؤيا يوحنَّا الحبيب (٧: ٢ — ١٢) حيث أوحى اليهِ الربُّ عدد المختارين من اسباط بني اسرائيل ونظر معهم جمعاً كثيراً لا يُحصى من كلّ أمَّة وقبيلة وشعب ولسان واقفين امام عرش الله وبايديهم سعف النخل اشارة الى فوزهم بالظفر وكلّهم يسبّحون الله ويشكرونه على ما انعم به عليهم

وكذلك في فرائض وصلوات ذلك النهار تتنقّل الكنيسة من طغمة الى طغمة ومن مقام الى آخر فتمجّد كلّ رتبةٍ من مصافّ القديسين فبعد تكريرها صلاة التقديس المثلّث والسجود للاله المثلّث الاقانيم تعظّم الحمل الذبوح صارخةً انهُ مستحقٌ ان يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوّة والكرامة والمجد والبركة (رؤيا ٥ : ١٢) ثم تهنّئ البتول امّ الله بما نالتهُ من الرفعة والشرف وتثني على طغمات الملائكة الذين انتصروا لله وقاموا في وجه ابليس وحزبهِ وتقرئ السلام على الآباء الاوّلين الذين آثروا خدمة الله على كرامة العالم. وعلى الانبياء الذين بلّغوا وحيهُ تعالى بكل امانةٍ وبسالة. وعلى الرسل الذين تركوا كلّ شيءٍ ليتبعوا المسيح. وعلى الشهداء الذين استعذبوا العذابات على مخالفة وصاياهُ عزَّ وجلّ. وعلى المعترفين الذين سلكوا مع ابن الله في الطريق الضيّقة طريق الفضائل السامية وكبح اهواء النفس الامّارة. وعلى العذارى اللواتي تشبّهنَ بالخمس الحكيمات موقدات مصابيحهنَّ للقاء العروس الالهيّ. وعلى النساء الصالحات والارامل اللواتي برزن في العفاف وخوف الله وقداسة الزواج واحتقار ملاذّ العالم

ومن ميزة هذه الطقوس أنها كلّها تنطق باصوات التهليل والابتهاج فاذا وجّهتْ كلامها الى الاحياء حرّضتهم على الفرح مع الكنيسة الظافرة واذا فاوضت القديسين اتّسعت في وصف ما نالوهُ من الجزاء العظيم بعد محن هذه الحياة فنشفت دموعهم وانتهت آلامهم وظفروا بحياةٍ ابديّة لا يستطيع عدوّ ان يكدّر هناءها . وهي تتلو لهم الجيل التطويبات الثماني لتصرّح لهم انّ الربّ لم يحنث بمواعيده وانهُ كما وعد اجلسهم معهُ على عرشه ومنحهم منّة الضعف بدلاً ممّا صنعوا لخدمتهِ

وهناك من التسابيح والاناشيد التي تأخذ بمجامع القلب وكنّا نودّ لولا ضيق المكان أن ندوّن منها شيئاً ننقلهُ عن فروض كلّ الطوائف فتظهر بها عواطف الكنيسة في كلّ مجاليها فنحثّ المسيحيين على تسريح النظر فيها والتلذذ بمعانيها الخشوعيّة

٣ فوائد هذا العيد الاجتماعيّة

لعيد جميع القديسين فوائد جمّة يمكن المسيحيين اجتناؤها فيحصل منها للهيئة

الاجتماعيَّة رقيٌّ وصلاح . واوَّل ما يُستفاد من هذا العيد انَّ الانسان يحيي ايمانهُ ويبعث رجاءهُ اذ يحدل نظرهُ من الارضيَّات الزائلة حيث ليس لهُ في هذه الدنيا «مدينة باقية» (عبر ١٣ : ١٤) ولأنَّ «هيئة هذا العالم في زوال» (١ كور ٧ : ٣١) فلا يركن الى هذه دار الفنا. بل يصرف قلبهُ الى دار البقا. التي سبقهُ اليها الوفُ الألوف من بني جلدتهِ فينعش بذلك قواهُ ويشدّد نفسهُ صبرًا على آفات هذه الحياة واملًا بحياة اخرى ثابتة سعيدة

وللعيد فائدة ثانية وهي تشديد روابط الحبّ بيننا وبين الذين رحلوا قبلنا الى دار الابديَّة الصالحة فانَّ هؤلاء كلهم من جنسنا ومن اخواننا كلهم فروع دوحة واحدة وابنا. والد واحد وبينهم من ينتسب الينا برحم وجرت دماؤهم في عروقنا ولعلّ الموت أنسانا ذكرهم فالكنيسة امّنا تجدّد في هذا العيد ذكرهم في قلوبنا وتعلن لنا بلسان حالها أنهم ليسوا بموتى بل احيا. عند الله ولديهِ سيلتئم شملنا فيحصل معهم اجتماع ليس من بعدهِ فراق

ومن فوائد هذا العيد المبارك أننا باكرامنا اصحابهُ نجد في سِيَرهم من الاعمال المبرورة والفضائل الساميَّة ما يحملنا على اقتفاء آثارهم كيف لا وكلهم من اهل الصلاح اذ لا يدخل السماء غير النفوس الطاهرة وارباب الفضل والبرّ. ولمَّا كان الانسان مطبوعًا على الاقتداء بما يراهُ في امثالهِ من الخير او الشرّ يدفعهُ مثل الصالحين الى ان يحذو حذوهم ويتشبَّه بهم ويستسهل السير في طريق القداسة اذ يرى من كانوا مثلهُ قد نهجوهُ وامنوا عثرتهُ

ومن أخصّ فوائد عيد جميع القديسين انهُ يكشف للمرء شيئًا من نعيم السماء فيسأم على الفور من ملذّات هذه الحياة . ويهتف مكرّرًا قول القديس اغناطيوس دي لويولا : «كم تذلّ الارض في عيني حين أُبصر الى السماء» . اجل انَّ ذوي البصيرة يعدُّون الحياة الحاضرة كزبلٍ في جانب ما ينتظرهم من مباهج الابديَّة وبالنسبة الى «ما اعدَّهُ الله لمن يحبُّونهُ وذلك ما لم ترَهُ عين ولا سمعت بهِ اذن ولا خطر على قلب بشر» (١ كور ٢ : ٨) بل «يشتاقون الى الله اشتياق الأيل الى ينابيع المياه» (مز ٤٢ : ٢) ويطلبون مع الرسول (فيلبي ١ : ٢٣) «ان ينحلّوا من قيود الجسد ليكونوا مع المسيح» ويودُّون مع داؤد النبي (٥٤ : ٧) لو يحصلوا على اجنحة كالحمامة

ليطيروا الى ربهم ويستريحوا في جواره مع من سبقوهم الى دار النعيم او بالحري يتحوّلوا معهم الى شبهِ تعالى في المجد • (٢ كور ٣ : ١٨) فكيف لا يستنزُ العاقلَ هذا النظرُ الجليل ليسعى وراء سعادتهِ او كيف يدع شواغل هذه الحياة تلهيه عن الامر الوحيد الذي يستحقُّ اعتباره ويستدعي همَّتهُ فيصرخ من صميم الفؤاد الى اولئك الذين بلغوا الى مينا الخلاص راغباً اليهم بان يشفعوا بهِ عند الله ويؤيدوهُ بنعمتهِ تعالى لينجو من اخطار هذا العالم الشرّير ويحظى معهم بالافراح السرمديَّة

تلك هي بعض التعاليم التي يستفيدها المؤمنون من هذا العيد المبارك فماها تنطبع في قلوبهم وتدفعهم الى تضحية كل نفس ونفيس رجاء الحصول على ما تضمنهُ لهم من الخيرات الدائمة

مَعَابِرُ القِطارات

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

المَعبَر في اللغة ما يُعبَر بهِ النَّهر من قَنطرة او سفينة ونعني بهِ هنا السفينة التي تحمل قِطارات السكك الحديديَّة فتعبُر بها ليس انهاراً فقط بل بُحَيرات واسعة وخلجاناً وبواغيز مختلفة فتنقلها من ضَفَّةٍ الى أخرى ومن برّ الى آخر. وهي التي دعاها الانكليز فِرِيبُوت (Ferry-boat) اي سفينة العُبور فدرج اسمها عند الفرنسويين وغيرهم • ولا يزعمنَّ القارئ ان هذه اضغاث احلام او امور يُتوقَّع تحقيقها في المستقبل لا بل دخلت منذ سنين عديدة في حيّز الوجود رادَت في انحاء شتّى من اوربَّة ولا سيَّما اميركا خدماً مشكورة ضمنت لها انتشاراً واسعاً في الازمنة المقبلة

يروى عن الملك لويس الرابع عشر انهُ لمَّا سار حفيدهُ سنة ١٧٠٠ الى اسبانية ليملك عليها صرخ قائلاً : • قد زالت جبال بيرينه بين فرنسة واسبانية • مشيراً بقوله الى سهولة المواصلات بين الدولتين وارتباطها في المستقبل

فنحن ابناء الجيل العشرين يسوغ لنا ان نهتف قائلين : • زالت البحور • او قلما يكون • زالت بعض البحور • . فكما ان المهندسين بحذقهم توصلوا منذ وسط

الجيل المتصرم الى ان يزيلوا بنوع ما سلاسل الجبال القائمة مثل سور منيع بين الدول المتجاورة وذلك بحفر الأنفاق التي يبلغ طول بعضها نحو عشرين كيلو متراً . فكذلك قد تيسّر لهم ان يزيلوا العقبات الحائلة منذ عشرات من الحقب دون نقل قطارات السكك الحديدية على البحار . فالآن نرى القطارات منقولة من احد شاطئي بحر البلطيك الى الآخر ومثل ذلك على بوغاز المنش وليس بعيداً ان يشاهد ذلك المنظر الغريب في بحر الشمال والبحر المتوسط . بل ربما استطاع يوماً ما المسافرون الكارهون لمشاق سفر البحار ان يجتازوا المسافة الفاصلة بين باريس ونيويورك عن طريق سيبيرية وألاسكا بالعبور على مضيق بيرنغ فوق ظهر المعابر . بل ان الامل معقود على إمكان استخدام هذه واسطة النقل الجديدة على اي بحر كان ما عدا اوقيانوس الاتلانتيك نظراً الى عرضه العظيم وبُعد سواحله

١ وصف معابر القطارات

بمعبر القطارات باخرة كبيرة متسعة الارجاء . مُدَّت على ظهرها المكشوف تماماً اسلاكٌ حديدية متوازية مزدوجة تناسب عدد عربات القطار المقصود نقله على البحر . فالمعبر المتوسط الكبر يُمَدُّ عليه خطّان حديديان او ثلاثة خطوط والكبير يُجهز باربعة خطوط ويبلغ طول هذه السفن المعابر ١٣٥ متراً في عرض ٣٥ فيمكن الواحدة ان تنقل ٥٥ عربة اعني قطاراً كاملاً للبضائع . وفي كل مرفأ تحطّ عنده السفينة رصيفٌ على شاطئ البحر تنتهي اليه السكة الحديدية . وبإزاء الرصيف يُشيَّد عمودياً في البحر شبهُ سورين طويلين تزيد المسافة بينهما زيادة يسيرة على عرض سفينة المعبر بحيث تستطيع ان تدخل بينهما فتقترب من الرصيف الى بضعة امتار . حينئذ يُخفض مقدَّمها الذي يعلو فوق مستوى ظهرها . ثم يُعرَض بينه وبين الرصيف جسر صغير تجعله بالرصيف مفصّلات في غاية المتانة فيمتد الخطّ الحديدي بدون انقطاع من الرصيف على الجسر ومنه الى ظهر المعبر . ومتى استتب ذلك نُقلت العربات فُرادى من الشاطئ الى السفينة . ولا بأس على المعبر من الاهتزازات الكبيرة الناجمة عن هياج الامواج نظراً الى ضخامته وعرضه وثقله . ولكن يُحتمل ان تدهمه بحدوث الصواعق رجة شديدة تحدث اصطدام العربات المنقولة على ظهره فيؤدي ذلك الى العواقب

الوخيمة . فدفعاً لهذا المحذور تُقيَّد كلُّ عربة على إثر نقلها فوق السفينة بعدة سلاسل وثيقة تربطها بالخط الحديدي فتمنعها من التقدم او التقهقر . ومتى انتهى نقل كل القطار على المعبر رُفع مُقدَّمة المخفوض وبارَحَ الشاطئ مُتَّجهاً الى مرفأ آخر مُجهَّز على مثاله فتُعاد العمليات معكوسة

ربما اوقفني هنا القارئ اللبيب مستفهماً ما الفائدة من الجسر المتحرك الذي يتوسط بين الرصيف ومقدَّم السفينة ، ولماذا لا تدنو هذه الى الشاطئ حتى تلاصقهُ ؟ وجهُ الجواب على ذلك انَّ ظهر السفينة والرصيف ليسا على مستوى واحد لاسباب قريبة الفهم : اولها ان ارتفاع كل سفينة فوق سطح البحر تبعٌ كما لا يخفى لثقل السفينة وحمولها . والثاني هو حركة الامواج التي في بعض الاعاصير الهائلة تعلو بالبواخر وتهبطها تناوباً بسرعة غريبة فيبلغ احياناً الفرق بين مُعظم الارتفاع والانخفاض ثمانية امتار ونيفاً . الثالث وهو السبب الاهمّ هو تغيُّر مستوى البحر بالمدّ والجزر اللذين يحدثان في كثير من البحار مرّتين في ظرف ٢٤ ساعة و ٥٠ دقيقة وثلاثين ثانية . ففي بعض المرافئ مثل دياپ وشربور يبلغ الفرق بين مستوى المدّ والجزر نحو عشرة امتار في بعض فصول السنة . وهذا السبب الاخير هو العقبة الكؤود التي حالت حتى اليوم دون تسيير البواخر الناقلة للقطارات على غير البحار القليلة المدّ والجزر كالمتوسط والبلطيك . اما الاتلنتيك فقد سبق لنا القول بانه لا يؤمَّل بخصوصه شيء من هذا القبيل

وكان مضيق المَنش حتى الحرب خالياً من المعابر نظراً لشدة مدّهِ وجزرهِ . فلما انتشبت الحرب الكونيَّة وارسلت انكلترة مئات آلاف من جنودها الى ساحات القتال والتزمت ان تنقل اليهم الوفاً وربوات من مُئات المِيَر والذخائر الحربيَّة . ألجئت حكومة الانكليز الى ايجاد طريقة ما لاستخدام سُفن نقالة بين جزيرتها وبين فرنسة . فانكبَّ احذق المهندسين على البحث في اكمل الوسائل الى ذلك فقرَّ قرارهم على بناية جسر طويل طافٍ على البحر . ذي ميلان قابل للتغيير وهو ممتدٌّ بين الرصيف ومُقدَّم المعابر بدلًا من الجُسَير الموصوف سابقاً الذي طوله لا يتعدى نحو ٦ امتار . ثم حدَّدوا مواعيد إقلاع المعابر من انكلترة ووصولها الى فرنسة وبالعكس بحيث تصادف الوقت الأنسب من المدّ والجزر . ولم يكن ادنى بأس بذلك اذ ان تلك البواخر لم تنقل

الركاب بل الذخائر الحربية فقط . فسارت المعابر في المدة الاخيرة من الحرب على خطين احدهما من سوذنيتز الى دياب وشربور . والثاني من رتمزكيت الى كاله

٢ فوائد معابر القطارات

لا يُنكَر أنها لفائدةٌ جليلة ان ينتقل الركاب من مرفأ الى آخر بل من مدينة الى أخرى يتوسط بينهما البحر وذلك دون ان يتكلفوا النزول من عربات القطارات لأن المسافر يوثر انجاز سفره برًّا وبحرًا في نفس عربة القطار الحديدي دون ان يتجشّم مرارًا عديدة مشقة النزول من القطار ونقل امتعته الى مرسى الباخرة ثم ركوب السفينة . وكل من ركب البحر ولو مرةً من بيروت الى بورسعيد يعلم باختباره ما في كل ذلك من العناء الباهظ واضاعة الوقت ولا سيما في شحن البواخر بأمتعة المسافرين وبالبضائع . فكيف اذا ابتدأ السفر من دمشق مثلاً الى بيروت وانتهى الى القاهرة ! فمعن المعابر تزيل تقريباً كل هذه العراقيل (وليس كلامنا هنا عن دُوام البحر ودوخته) فبه يستطيع السائح ان يذهب من دمشق بل من استانبول الى القاهرة وهو في نفس عربة القطار التي ركبها من اول سفره لا ينقل منها قدماً اذا شاء . أليس في ذلك فائدةٌ عظمى في جيلنا هذا الذي راجت فيه سوق الاسفار برًّا وبحرًا الى درجة كون بعض الاميركيين المصطافين بباريس يَدعون بعد قفولهم الى الاوطان بعض خلّانهم الباريسيين الى حضور مأدبة او مرقص في نيويورك ? لكن هذه الفائدة والراحة تُشتريان بالاصفر الرنّان اعني ان بواخر الفريبوت لا تنقل سوى عربات الدرجة الاولى وان اثمان تذاكر السفر تُزاد زيادةً كبيرة

اما الفائدة العظمى الجوهرية التي ربحتها التجارة من البواخر الناقلة للقطارات منذ الشطر الثاني من الجيل المنصرم فهي السرعة والرخص العجيب لأنَّ في نقل البضائع ما يُفضي الى اقتصاد جسيم . وذلك ما يلزم ايضاحهُ الآن ببعض التفاصيل . ألم تلحظ — رعاك الله — وانت متجوّل على ساحل بيروت عند المرفأ كثرة الاعمال الواجبة مباشرتها لنقل البضائع المتراكمة اكداساً في عربات السكة الحديدية او على الرصيف او في مستودعات الساحل الى البواخر الراسية في المرفأ . فيجب اوّلاً تحويل البضائع من القطار الى الرصيف ثمَّ نقلها بالقوارب الى قرب الباخرة ثم رفع تلك السلع بواسطة

ادوات رفع الاثقال من القوارب ووضعها في عنابر السفينة وغنيّ عن البيان ان ذلك يستغرق في غالب الاحيان اياماً عديدة نظرًا الى بطوء تلك الاشغال الاقتتاحية . ثم لا بدّ ثانياً من تنسيق كل هذه البضائع في قعر الباخرة لكي تشغل اقلّ ما يمكن من سعة عنبرها وذلك ايضاً امرٌ طويل . وينبغي ثالثاً تفريغ السفينة بعد انتهاء السفر وهو يقتضي بضعة ايام مثل شحنها

وما قولنا عن النفقات الطائلة التي تستلزمها كلّ هذه الاعمال وذلك بسبب كثرة اليد العاملة واستهلاك الكميّات الوافرة من الفحم او الكهرباء لتشغيل الأدوات الرافعة للاثقال . وزد على ذلك ان كل هذه العمليّات الطويلة تُعرّض التلف السريع كثيرًا من البضائع القابلة الكسر او التعفّن فيضطرّ التاجر المُرسل لها الى لفّها وحزمها حزماً متيناً غالياً ومع كلّ هذا الاحتياط فلا يندر التلف فاستخدام سفن الفريبوت يزيل كل تلك النفقات الطائلة فضلاً عمّا يُجديه من السرعة الغريبة في نقل البضائع . ففي نحو عشر دقائق يمكن نقل قطار ببضائع كامل من الشاطئ الى ظهر السفينة عند الرحيل وبالعكس عند الوصول

٣ اهم خطوط المعابر

اكثر ما تستعمل المعابر المذكورة في الولايات المتحدة حيث شاعت شيوعاً عجيباً . قيل انهُ في اوّل الحرب الكونيّة بلغ عددها هناك ٦٠٠ ونيفاً تنقلت على ظهورها ١٥،٠٠٠ عربة . والداعي الى شيوع تلك البواخر المستحدثة فيها وجود انهر بالغة العرض مثل نهري سان لوران وميسيسبي وبحيرات عظيمة بين تلك الاقطار وكندا كبحيرات أنتاريو وإرِيه وهورون وميشيكان والبحيرة العليا التي توازي مساحتها تقريباً مساحة ايطالية . وعلى جانبيها الخصب اراضي المعمور وهي من جهة سهولٌ مترامية الاطراف غربي كندا ومن جهة اخرى مزارع فسيحة للولايات المتحدة تدرّ بغلاتها على انحاء المعمور وهي التي مانت اثناء الحرب ولا تزال تمون حتى الآن قسماً كبيرًا من اوربة التعيسة المُثقلة جزئياً . وبجوار تلك البحيرات مناجم حديد هامة ومدن غنيّة بصناعاتها العامرة مثل شيكاغو وديترُويت وطُرُنطو وبُفلُو . فلا غرو أن كانت العلاقات التجارية بين سواحل تلك البحيرات غاية في السعة . ولذلك ترى

السكك الحديدية تأتي من كل اوب الى تلك الشواطئ شبيهة في كثرتها واشتباكها بعروق الجسم وشرايينه . ومن السواحل تُنقل قطاراتُ البضائع على مئات من بواخر الفريبوت القديرة من الولايات الى كندا وبالعكس

ولم يكتفِ الاميركيون باستخدام تلك السفن يومياً على كل البحيرات المذكورة بل ادخلوا بعض التحسين في طريقة استعمالها . لاحظوا ان كلَّ فريبوت يستهلك كمية فاحشة من الفحم بسبب ثقل تلك العربات والمكان الفسيح الذي تشغله . وللملافاة هذه الخسارة رأى المهندسون ان يعمّروا بواخر فريبوت بدون محرّك ثم يجرّونها بسفينة صغيرة ذات محرّك . فعلى هذا المنوال تنقص السرعة غير ان النفقات تقلّ كثيراً . ثم قد تجاسر الاميركيون وسيّروا الفريبوت المجرور في فُرَضٍ يبلغ عرضها ٦٠ كيلو متراً حيث تهبّ العواصف الهائلة التي لا تمسّ البحيرات . بل سيّروه بنوع منتظم بين هفانة وطرف شبه جزيرة فلوريدا ليستجلبوا فواكه كوبة الى الاسواق الاميركية . والمسافة بينهما تبلغ نحو ٣٠٠ كيلو متر

تلك مآثر اولئك الرجال المشهود لهم بطول الباع وعلوّ الهمّة في كل فروع التجارة والصناعة . فهل جاراهم الاوربيون في هذا المضمار ؟ لا لعمري ! والحق يقال انهم لم يكونوا في حاجة ماسّة الى الفريبوت نظراً الى احوالهم الجغرافية وعلاقتهم التجارية : فبواخر الفريبوت الاوربية لا تزال في يومنا هذا تُعدّ على الاصابع وهاك اشهرها :

١ الخط بين رجيو في طرف كلابرية ومسينة على مضيق مسينة

٢ . الخط بين كوبنهاغن او إلسنور الى السواحل الاسوجيّة المفصولة منها ببوغاز السند المُلقَّب بمضيق الشمال

٣ الخط من جنوبي جزيرة سيلند الواقعة فيها كوبنهاغن الى جزيرة فيونية ومنها الى شبه جزيرة جتلند حيث تنتهي سكك حديد اوربة المركزية

٤ - الخط من الطرف الجنوبي الشرقي للأرخبيل الدانيمركي الى سواحل مقاطعة مكلنبُرغ الالمانية — وبها تنتهي سكك حديد اوربة الشرقية . فبهذا الخط يمكن السفر من برلين الى عاصمة الدانيمرك بدون النزول من عربة القطار . وقد عاينتُ ذلك الامر الغريب في سنة ١٩١١ حيث انجزت هذه السياحة . والمسافة التي يقطعها الفريبوت بحراً ٤٥ كيلو متراً

الخط بين تْرِلْبُرغ وهو المرفأ الواقع في اقصى جنوبي اسوج · وجزيرة روغن التي يصلها جسر بساحل المانية الشمالية

وعلى هذا الخط يمكن السفر من استكهلم الى برلين او رومة في عربة القطار بدون ادنى تغيير · كل هذه خطوط الفريبوت الدنيمركية والاسوجية لعبت دوراً مهماً في سني الحرب · من المعلوم ان دانيمرك واسوج كانتا حتى دخول الولايات المتحدة في الحرب تُوردان بضائعهما الى المانية · فكانت السلع تأتي من الولايات المتحدة الى كوبنهاغن وغوتنبرغ ومنهما الى المانية بخطوط الفريبوت السابق ذكرها · ولكي يقف القراء على تواتر تلك النقلات الفريبوتية نجتزئ بذكر الارقام الآتية : في اواخر سنة ١٩١٥ كانت بواخر الفريبوت تقطع بوغاز السُند الفاصل بين الدانيمرك واسوج ٢٩ مرة يومياً — وتجتاز ٦٠ مرة المضيق الواقع بين جزيرة فيونية وشبه جزيرة جُتلند — وتنقل ٦٥٠ عربة بضائع من فيونية الى جزيرة سيلند · فلولا الفريبوت لما استطاع الاسوجيون والدانيمركيون ان يرسلوا الى المانية صديقتهم جزءاً من عشرين من البضائع الواردة اليهم من الولايات المتحدة

تلك هي الخطوط المهمة التي نجدها في اوربة وحيث ادّت خدماً عظيمة فقد عزمت عدة حكومات على انشاء خطوط غيرها في المستقبل واليك بيانها موجزاً : ١ خط من المرافئ الانكليزية الى اسوج ومن اسوج الى بتروغراد استماراً بحيرات روسيّة الواسعة · ٢ خط من سواحل نروج الجنوبية الى الطرف الشمالي من شبه جزيرة جُتلند لتتصل سكك حديد نروج بالسكك الاوربية · ٣ من المؤمل ان تُوجد خطوط شتى في كل انحاء البحر المتوسط ولا سيّما الخط على البسفور بحيث يمكن السفر من لندن الى بغداد بالقطار — والخط على الادرياتيك ليصل سكك الحديد الايطالية بسكة منويّ انشاؤها من الطرف الغربي لبلاد البلقان الى طرفها الشرقي · واخيراً الخط بين فرنسة والجزائر وبه يمكن نقل البقول والفواكه الجزائرية بغاية السرعة والرخص ليس فقط الى كل انحاء فرنسة بل الى انكلترة نفسها فيتسع بذلك نطاق التجارة في الواحدة من أهمّ المستعمرات الفرنسوية

ذلك ما رأينا إطلاع قرائنا عليه من ماهية الفريبوت وفوائده وخطوطه الموجودة والمنوي انشاؤها في اميركة واوربة · ولا مراء في انه لا يوجد نسبة ظاهرة بين

بساطة هذه واسطة النقل الجديدة وعظم منافعها · فسبحان من خوَّل العقل البشري قوَّة عجيبة لاستخراج اجلّ الفوائد من ادقّ الامور

مقاتلة الحشرات الضارّة بالزراعة

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعي

١ تعريف الحشرات الزراعية

ليس اعداء الانسان من جنسه فقط وانَّما تعاديه ايضاً ضروب الحشرات فمنها ما يفتك بشخصه ومنها ما يحمل على ماله كزروعاته ومواشيه · وخصوصاً تلك الهوام الصغيرة الحجم الكبيرة الأذى وهي اصناف كثيرة ولا تكاد العين المجرَّدة تميّز البعض منها

وليس كلامنا هنا عن الميكروبات او الفطريَّات كرمد الكرم (oïdium) وغير ذلك من الجراثيم المُعدية الكثيرة الاضرار لكنَّها لا تدخل في فصائل الحشرات التي نقصدها هنا · فالحشرات الزراعيَّة ذات حلقات متواصلة ببعضها فتُدْعى لذلك بالفصيلة الفصليَّة · وهي اذا بلغت نموَّها تتجنَّح بالاجنحة فمنها ما له زوجٌ واحد من الاجنحة ومنها ما تجهِّزهُ الطبيعة بزوجين او ثلثة ازواج من الاجنحة كالفراش والزنبور والذباب والجراد والحشرات الغمديَّة والنصفيَّة الاجنحة ويلحقون بها الفصيلة العنكبوتيَّة

وليست هذه الحُيَيوِنات تامَّة الخلقة عند مولدها كذوات القوائم وانَّما تتطوَّر اطواراً شتَّى في حياتها القصيرة كما ترى في دود القزّ · فانَّها تكون في اوَّل حياتها بزراً ثم تصير على شكل دودة ثم تتحوَّل هيئاتها فتصير عروساً (nymphe) ذات فيلجة او دونها الى ان تبلغ كمالها على صورة فراشة لا تعيش سوى اياماً قليلة تضع الانثى بيضها ثمَّ تموت · ومثلها بقيَّة الحشرات المجنَّحة الاذوات الاجنحة المتناسقة كالجراد فانَّ صغارها تشبه كبارها لكنَّها خالية من الاجنحة وتختلف هيئاتها قبل بلوغها

وأضرُّ ما تكون الحشرة في حالتها الدوديَّة فانَّها قبل ذلك وبعدهُ لا تكاد تأتي بضرر . امَّا الدودة فتكون ذات نَهَم عظيم تَردد الطعام لتحصل على نموّها وكمال بنيتها واذا صارت فراشة قلَّما تَطعَم الَّا البعض منها . ولنا مثال قريب في العثَّة او السوسة التي تقتات من الصوف وتفسد الثياب فتسن بها واذا تحوَّلت الى فراشة زال ضررُها وقس عليه بقيَّة الحشرات التي تُفسد دودتها الثار والكروم والبقول . فالدواء اذًا انَّما هو مقاتلتُها في حالتها الدوديَّة ومَنع فراشها من البذار

وممَّا يجب اعتبارهُ انَّ الدودة لا تغتذي غالبًا بالاطعمة التي تطعمها عند استحالتها الى فراشة . فانَّ بعض الحشرات تطعم لحمًا في صغرها ثمَّ نباتًا اذا بلغت والعكس بالعكس

٢ نمو الحشرات وافرازها

قد جعل الله في الطبيعة توازنًا عجيبًا بين انتشار الحشرات وحصر نموّها طالما تجري الامور على نظامها الطبيعيّ . فانهُ تعالى وضع لكل آفة دواء ولكلّ حشرة ضارَّة عدوًّا يناصبها ويتلفها . هذه حشرةٌ تغرز ابرتها في ثمرٍ وتدخل فيه بزرها فاذا تحوَّل الى دودة تأكل الثمرة لكنَّها لاتلبث ان تحاول الخروج لتتحوَّل الى فراشة فيسطو عليها الطير متغذيًا بها ويمنع بذلك تناسلها . وهكذا تفعل طيور كثيرة : التي تلتقم الحشرات او تقيت بها فراخها . والحشرات نفسها تعادي بعضُها بعضًا كما سبق لنا وصفها

امَّا اذا بطل هذا التوازن لسبب من الاسباب في بلدٍ ما رأيت للحال ذلك البلد عرضةً لجماهير الحشرات الضارَّة . انتشرت في السنة ١٨٥٣—١٨٥٤ في حدود بروسية وروسيا دودة فراشة تُدعى Lymantria Monacha فأتلفت كلّ غابات الصنوبر التي هناك وكانت مساحتها تكاد تساوي مساحة فرنسة وتزيد من ١٨،٠٠٠ هكتار اعني ١٣ مليونًا ونصف متر مكعَّب من الخشب

وربَّما تسلَّطت على فرنسة وغيرها من البلدان دودة الصرصور المعروفة بالدودة البيضاء فأكلت كلّ جذور الشجر الغضّ وأصول الزرائع

وما قولنا بالفيلوكسيرة التي هي حشرة متناهية في الدقَّة لا تكاد تبصرها العين

المجردة . انتقلت من اميركا الى فرنسة بواسطة لا تزال مجهولة فأهلكت في اقل من ٥٠ سنة كل كروم فرنسة وسواحل البحر المتوسط حتى بلغت الخسارة الناجمة من أذاها على رأي الاقتصاديين عشرة مليارات من الفرنكات

ومن المعلوم ان عدة مقاطعات من بلاد ايطالية بقيت خالية من الزرع وذلك لما يفتك فيها من الحمى الاستقائية اي الملاريا فان ميكروب هذه الحمى ينقله البعوض الى جسم الانسان كما تحققوا ذلك بالامتحان اذ حجبوا بعض الفعلة بالناموسيات وستروا عرايا جسمهم فلم يصابوا بالحمى على خلاف سواهم من العمال الذين لم يصانوا بهذه الستائر . فإقفار تلك المقاطعات وجمودها سببه اذن هذه الحشرات

ومثلها الحمى الصفراء في الاقاليم الحارة ومرض النوام في اواسط افريقية فانهما ينتقلان الى جسم الانسان بواسطة حشرات كالبعوض والذباب . وفي قارة افريقية ذبابة أخرى فتاكة تسطو على المواشي فتتلفها يدعونها بالذبابة تسيسي فحيثما تظهر يستحيل عمل الزراعة وتربية المواشي ويصعب السفر اذ يضطر المسافرون ان ينقلوا اثقالهم على ظهر السودان دون الدواب

قلنا ان نمو هذه الحشرات في بعض الآونة يدل على اختلال التوازن بين الحشرات الضارة ومناصبيها . ومما يساعد على هذا الاختلال تقلبات احوال الجو من حر وبرد وغير ذلك مما يضعف اعداء تلك الحشرات فتزيد هي عدداً وضرراً

وربما كان سبب نموها الانسان نفسه اذ ينقل دون علمه بزور هذه الحشرات فتدخل في بلاد كانت خلواً منها سابقاً فتجد هناك تربة موافقة لكيانها فلا تلبث ان تنمو نمواً بالغاً بدون ان يقوم في وجهها مقاوم

والدليل على ذلك ان الفراشة المعروفة باسم • Liparis dispar • والموجودة في عدة بلاد من اوربة دون أن تأتي بضرر يذكر دخلت صدفة الى ولايات اميركة المتحدة على يد زراع كان يؤمل من نسيجها صنفاً جديداً من الحرير فما ظهرت هناك حتى اصبحت من اعظم آفات الغابات فيها . وفي الولايات المتحدة الجنوبية ايضاً هامة اخرى تنفث في الحيوانات الزراعية وفي الخيل والبغال سم مرض عضال يدعى بحمى تكساس

ومما دهم بلاد كاليفورنية حشرة دقيقة اسمها • Tæniothripis Piri • لا

يعرَف تماماً من اين أتتها والمظنون انها انتقلت من فرنسة او من انكلترة وهي موجودة فيهما خاليةً من الاذى فلماً حلّت في كاليفورنية اغارت على جميع اشجار تفّاحها وخوخها فلم تُبقِ ولم تذر حتى اضطرّ اصحاب الاملاك الى قلعها اصلاً الى ان تمكّنت اخيراً الحكومة الاميركانيّة من اكتشاف علاجها . وعلى هذا المنوال دخلت منذ زمن قريب بعض الحشرات الضارّة الى بلاد كانت تجهلها سابقاً

ومن منّا لم يشاهد غير مرةٍ في حياته آفة الجراد فانّ صغارها التي تستوطن بعض انحاء العرب والافريقية تنمو في بعض السنين بقوّة الحرارة نموّاً فائقاً فتدفعها الرياح الى بلاد مخصبة فتنكسر فيها وتكتسح ما تجده من المزروعات ولا سيّما صغارها المعروفة بالدّبى التي لا ينجو من جشعها نبات ايّاً كان

وما يقال بالاجمال انّ الحشرات التي تفتك بالزراعة عديدة تختلف على اختلاف البلاد . فلنضربنّ صفحاً عن المالوش وعن الدودة البيضاء وكلاهما من آفات البساتين والمغارس . ولنذكرنّ تلك الحشرات التي تلتهم في بعض ساعات كلّ اوراق الاشجار التي تستطيبها . وبعضها ينأوى شجر الصنوبر ومنها ما تجده في فصل الشتاء لاطياً في وكرهِ الدفيء المبنيّ في كعب بعض الاشجار حتّى اذا حان وقت الربيع زحف على تلك الاشجار فجرّدها من كلّ ورقها . وبعضها يطعم عساليج الكرم ليلاً فاذا لاح الصباح اختفى في جذر الشجرة

وكلّنا نعرف دودة التفّاح والخوخ والاجّاص والجوز والزيتون . فجميعها نسل هوامّ صغيرة مجنّحة كالبعوض لا يزيد طولها على بضعة مليمترات تراها في ايّام الربيع تحوم حول الشجر عندما تعقد الزهرة لتتحوّل الى ثمر فهذه الهوام تجعل بيضةً من بيضها في باطن الزهرة عند طلعها حيث يتكوّن رأس الثمرة . فاذا فقست البيضة صارت دودة فتفتح لها منافذ في لبّ الثمرة بعد قرضها الى ان تتمّ بنيتها فتخرج وتتساقط على الارض فتجمد في حالة العروس الى الربيع القبل . ومن ثم ليست الثقوب التي تراها في التفّاح والبندق والجوز مداخل نفذت فيها الدود من الخارج بل هي منافذ تفتحها الدودة لتخرج منها الى الهواء

فترى ما للزراعة من الاعداء . فان لم يتدارك الانسان هذا الامر واحتاط لماله من أذى كلّ هؤلاء البارزين ذهب شغله سدًى . فعليه اذاً بالجهاد لمقاتلة

الحشرات الضارة بالزراعة ولعلّ هذا الجهاد يبقى دائماً لولا ما اعدّت له العناية الالهيّة من المساعدين على اتلافها

شركاؤنا في معاداة الحشرات

انّ شركاء الزارع في مقاتلة الحشرات الضارّة اكثر ممّا يظنّ . منهم اولاً عدّة طيور كالخطّاف والوطواط التي لا تغتذي سوى بهذه الحشرات فأُطلق عليها اسم ملتهمي الحشرات (insectivores) . ولسنا نفرط بالقول لو اكّدنا انّ الطائر منها يطعم مئات من الحشرات كلّ يوم ويصطاد الوفاً منها لفراخهِ ولذلك تمنع الدول الحريصة على نموّ الزراعة من قتل الطيور والعصافير

ومن الحشرات نفسها ضروب شتّى تقوت صغارها بالهوامّ المؤذية الزراعة ولذلك يدعونها بالصيّادة ولكلّ صنف منها مطعمهُ الخاص فهذه تصطاد دودة الكرم وتلك دودة البقول او دودة الاشجار المثمرة الخ

وبعض الحشرات فرّلسة تردد عدوّها وعدوّ الزراعة بطيرانها كما يفترس الزنبور النحل الاهلي والبرّي عند جناهما الزهور وكما يفترس ابن آوى الدجاج . وقد عرفتامنها تلك الهامّة العادية للحشرة آفة الليمون فاختبرنا فضلها قبل عشر سنين لمّا ظهرت في حدائقنا تلك الحشرة السيئة وكادت تتلف كلّ ثمار الليمون فما سلّطنا عليها الهامّة الصالحة عدوّتها حتّى نظّفت منها الحدائق ببضعة ايّام

ومثلها تلك الحشرات الدقيقة التي تراها احياناً على اغراس الورد فتشوّهها . فربّما ناصبتها القتال حشرةٌ اخرى فتأكلها اكلاً ذريعاً بعد زمن قليل ولا تدع منها على الورد غير جلدها الناعم

وقد مرّ لنا في المشرق ذكر جنس الحشرات المتطفّلة التي تدسّ نسلها في احشاء غيرها فيتقوّتون من لحمانها . فسبحان الخالق ومدبّر العالم الذي جعل توازناً تامّاً بين طبقات الحيوانات لتجري على نظام معلوم فيحصل منها ما تراه تعالى من تكوينها دون ان يصبح نموّها آفة للأرضين   (له بقيّة)

النصرانية وآدابها
بين
عرب الجاهلية

للأب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل العاشر : الفنون الجميلة بين نصارى العرب (تابع)

٢ و ٣ التصوير والنحت

يظهر الجمال في البناء بحسن رسمه وبراعة هندسته وانتقاء موادّه ووحدة أقسامه واتقان نظامه . امّا في فنّي التصوير والنحت فانّ الجمال يلوح بتمثيلهما للمواليد الطبيعة الثلثة جمادها ونباتها وحيوانها فيخرجها المصوّر بهيئاتها والوانها وملامحها وعواطفها فيكاد يحييها بقلمه الساحر . ويجسّمها النحّات فيظهرها بتمواتها وتداويرها الطبيعيّة فيحكم صورة وجدانها كأنها لا ينقصها سوى الحركة والنطق

وكما شاع بين نصارى العرب في الجاهليّة فنّ هندسة البناء كذلك استخدموا فنّي التصوير والنحت . واوّل شاهد يمكن الاستدلال به ما ورد في الشعر الجاهلي من ذكر الصور والدّمى والتماثيل في بيع النصارى واديرتهم فأعجبوا بجمالها ونقوشها البديعة حتّى ضربوا بها المثل في الجمال فقالوا (الميداني ١ : ٣٠٠) : «احسن من دمية» . وقال عديّ بن زيد (شعراء النصرانيّة ص ٤٥٥) :

كدُمى العاج في المحاريب او كالـ ـبيض في الرَّوض زهرُهُ مستنيرُ

وقال عبدالله بن عجلان (الاغاني ١٩ : ١٠٢)

فرأته مثل الهلال صورتها وبثل تمثال ربيبة الذهب

وقال الاحوص (الاغاني ٤ : ٤٩ والشريشي ١ : ٢٩١) :

كأنّ لُبنى صبيرُ غاديةٍ او دُميةٌ زُيّنت بها البِيَعُ

ومثله للاخطل (ديوانه ص ١٢) :

حليٌ يشبُّ بياض النحر واقدهُ   كما تصوّرُ في الدير التماثيلُ

وقال عُمَر بن ابي ربيعة (الكامل للمبرد ص ٣٧٠):

دميةٌ عند راهبٍ ذي اجتهادٍ   صوّروها في جانب المحرابِ

وقال اميّة بن ابي عائذ (ديوان الهذليين ص ١٧٧):

او دُميةُ المحراب قد ليثتْ بها   ايدي البُناةِ بزُخرفِ الإتراسِ

وقال الاعشى (لسان العرب ٦: ١٤٤) وبني فطين من لفظ الصلبان والصُّور:

وما ايبُليٌّ على هيكلٍ   بناهُ وصلَّب فيهِ وصارا

ومن العجب انّ بعض الشعراء اذ رأوا هذه التماثيل في كنائس النصارى دعوها اصناماً واوثاناً. قال ابو قطيفة (معجم البلدان لياقوت ٣: ٦٦١)

ولَحَيٌّ بين العُرَيض وسلعٍ   حيث أرسى اوتادهُ الإسلامُ
كان أشهى اليّ قرب جوارٍ   من نصارى في دورها الاصنامُ

وروى في المفضليات (ed. Lyall ص ٥٤٩):

يطوفُ العُفاةُ بأبوابهِ   كطَوْف النصارى بيت الوثَنْ

قالوا: اراد بالوثن الصليب. وكانوا ينصبونهُ في وسط الكنائس. وقال بِشر بن ابي خازم يمدح بني الحذّاء النصارى (البيان للجاحظ ٢: ٧١)

لله درُّ بني حذّاء من نفرٍ   وكلُّ جارٍ على جيرانهِ كَلِبُ
اذا غدَوا وعِصيُّ الطلح ارجلهم   كما تُنصَبُ وَسْطَ البيعةِ الصُّلُبُ

فهذه الشواهد وغيرها مثلها تدلُّ كلُّها على شيوع فنّ التصوير ونحت التماثيل بين نصارى العرب. قال صاحب تاج العروس (٨: ١١١): «التمثال الشيء المصنوع مشبَّهاً بخلق من خلق الله عزّ وجلّ.. والتماثيل هي صور الانبياء. وكان التمثيل مباحاً في ذلك الوقت..

وممّا تكرّر ذكرهُ في الشعر الجاهليّ نقش النصارى لكتبهم الدينيّة كقول رؤبة (ديوانهُ ص ١٤٩):

انجيلُ أحبارٍ وحَيٍّ نَمْنَمَهْ   ما خطّ فيهِ بالمِداد قَلَمُهْ

وكقول المرقّش يصف رسوم الدار:

الدارُ قفرٌ والرسومُ كما رُقِّش في ظهر الاديمِ قلمْ

وقال في المفضّليات (ص ٦٩٨) :

كتابُ محبَّرٍ هاجٍ بصيرٍ ينمّقهُ وحاذَرَ ان يُعابا . .

وقد ورد في تواريخ العرب القديمة ذكرُ آثار دينيّة من النحت والتصوير عُني بها النصارى في انحاء الجزيرة . فمن ذلك ما رويناهُ في عدد سابق (ص ٧٠٠) من نقوش وتصاوير القلّيس التي زان بها ابرهة تلك الكنيسة الشهيرة . وقد ذكر بعضهم تماثيلها فعدّها لجهله اصناماً (اطلب في معجم البلدان وصف القليس وما قال هناك من كُميت ٤ : ١٧٢)

وما قيل من كنيسة صنعاء يصحّ عن بيعة نجران المعروفة بكعبة نجران التي عُني ببنائها بنو عبد المدان فان قدماء الكتبة يشيدون بمحاسنها ولعلّ صورها اتى بها الحبشة بعد محاربتهم لذي نوّاس وفتحهم نجران فانّ الحبش كانوا يحسنون التصوير . وفي الحديث الاسلامي انّ بعض نساء محمّد اللواتي كنَّ هاجرنَ الى ارض الحبشة ذكرنَ امامهُ حسن كنيسة مارية هناك وتصاويرها . فقال لهنَّ محمّد وهو في مرض الموت : «اولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثمَّ صوّروا فيه تلك الصور» (اطلب البخاريّ في باب المساجد)

وقد ورد في معجم البلدان لياقوت (٢ : ٧٠٣) ذكر كعبة نجران وصورها مع شهادةٍ لعموم نصارى العرب باتّخاذ الصور في كنائسهم . قال في وصف دير نجران :

«موضع باليمن لآل عبد المدان بن الديّان من بني الحارث بن كعب . . . بنوهُ مربّعاً مستوي الاضلاع والاقطار مرتفعاً عن الارض يُصعَد اليهِ بدرجة على مثال بناء الكعبة فكانوا يحجّونهُ هم وطوائف من العرب ممّن يحلّ الاشهرَ الحُرُم ولا يحجّ الكعبة ويحجّهُ خثعم قاطبةً وكان اهل ثلاث بيوتات يتبارون في البيَع وربّها اهل المنذر بالحيرة وغسّان بالشام وبنو الحارث بن كعب بنجران وبنوا دياراتهم في المواضع النزهة الكثيرة الشجر والرياض والغدران ويجعلون في حيطانها الفسافس وفي سقوفها الذهب والصور وكان بنو الحارث بن كعب على ذلك الى ان جاء الاسلام»

ومن التصاوير التي لا تزال آثارها الى يومنا في جزيرة العرب ما تزدان به كنيسة طورسينا الراقية الى القرن السادس للمسيح فانّ فيها من النقوش والفسيفساء والصور المختلفة اشياء كثيرة اتّسع في وصفها زوّار ذلك المقام الجليل وهي لمصوّرين وصنعة بوزنطيين

ارسلهم يوستينيانوس الملك لتشييد تلك المقامات وتزيينها بضروب النقوش

وكذلك مكّة كان للمصوّرين والنحّاتين النصارى فيها آثار ذكرها اقدم مؤرّخ لتلك المدينة وهو ابو الوليد الازرقي في كتاب اخبار مكّة (ص ١١٠–١١١ طبعة ليبسيك) قال يذكر بناء قريش للكعبة في الجاهليّة :

«وزوّقوا سقفها وجدرانها من بطنها ودعائمها وجعلوا في دعائمها صور الانبياء وصور الشجر وصور الملائكة فكان فيها صورة ابراهيم خليل الرحمن (١ ... وصورة عيسى بن مريم وامّه وصور الملائكة عليهم السلام اجمعين فلمّا كان يوم فتح مكّة دخل رسول الله صلعم البيت ... وامر بطمس تلك الصور فطُمست ووضع كفّيه على صورة عيسى بن مريم وامّه عليهما السلام وقال : امحوا جميع الصور الّا ما تحت يديّ . فرفع يديه عن عيسى بن مريم وامّه ...»

ثمّ روى عن عطاء بن ابي رباح انّه ادرك في البيت تمثال مريم مزوّقاً في حجرها عيسى قاعداً مزوّقاً وذلك « في العمود الذي يلي الباب » وانّه « هلك في الحريق في عصر ابن الزبير » . وروى عن ابن شهاب (ص ١١٣) « انّ امرأة من غسّان حجّت في حاجّ العرب فلمّا رأت صورة مريم في الكعبة قالت : بأبي وأمّي انكِ لعربيّة فامر رسول الله صلعم ان يمحوا تلك الصور الّا ما كان من صورة عيسى ومريم » .

وذكر الازرقيّ ايضاً (ص ٤٥٠) انّ في مكّة « داراً لسعد القصير غلام معاوية بناها سعد بالحجارة المنقوشة فيها التماثيل مصوّرة في الحجارة » . فلا شكّ انّ هذه التماثيل والصور اصطنعها النصارى في عهد الجاهليّة . كما عُهد اليهم في زمن المهدي بناء مسجد مكّة وتزويقه . قال المقدسي في كتابه احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (ص ٧٣) يذكر المهدي : « المسجد اليوم من بنائه وقد أُلبست حيطان الأروقة من الظاهر بالفسيفساء . حُمل اليها صنّاع الشام ألا ترى لساهم عليه » .

والى هؤلاء الصنعة النصارى تُعزى ايضاً النقوش والتصاوير المختلفة بالفسيفساء .

(١ ذكر المسعودي في مروج الذهب (١٢٦:٤) : « انّه لمّا اخذت الكعبة بالسيل سُرق منها غزال من الذهب وحلي وجواهر فنقضتها قريش وكان في حيطانها صُور كثيرة بالنوع من الاصباغ عجيبة منها صورة ابراهيم الخليل في يده الازلام وبتابلها صورة اسمعيل ابنه راكب بالناس مقبضاً والفاروق قائم على وقد الناس يقسّم فيهم . وبعد هذه الصورة صور كثيرة من اولادهم الى قُصَيّ بن كلاب وغيرهم في نحو ٦٠ صورة مع كلّ واحدةٍ من تلك الصور إلهُ صاحبها وكيفيّة عبادته وما اشتهر من فعله »

التي مرّ لنا ذكرها في الجامع الاموي في دمشق وفي الاقصى في القدس الشريف وفي جامع النبيّ في المدينة . وكذلك النقوش والتصاوير التي اشرنا اليها في الهندسة المدنيّة في قصور المشتّى وقُصَير عمرة والأُخيضر فانّها كلّها اعمال صنعة يُدعون في الغالب روماً وهم من نصارى الشام ومصر والعراق

وممّا وقف عليه ارباب العاديّات والسيّاح في الحقبة الاخيرة كنائس قديمة بعضها مطمور في الارض يرتقي عهدها الى القرون الثلثة قبل الاسلام في العراق وما بين النهرين وجهات الاناضول والارمن على جدرانها تصاوير شتّى يدلّ بعضها على براعة اصحابها في الفنّ ونُقلت رسومها في المجلّات الاثريّة او في تآليف مستقلّة

وكان صنعة الحياكة ينسجون الاقمشة ويزينونها بالصلبان والتصاوير فشاعت بين العرب وقد ورد ذكرها غير مرّة في اخبار نبيّ الاسلام وفي الحديث (اطلب مجلّة المنار في مجلدها العشرين ص ٢٢٠–٢٣٠) فمن ذلك ما روى عن مسلم انّ عائشة سترت جانب بيتها بقرام اي بستر احمر عليه تصاوير وتماثيل وانها اشترت نمرقة عليها تصاوير وانّها سترت بابا بدرنوك اي طنفسة فيه الخيل ذات الاجنحة . وكانت هذه الانسجة يحيكها اهل اليمن النصارى كما سترى فيزينون نقشها بالتصاوير

وكانوا يصوّرون على بعضها الصليب وصور القديسين ويتّخذونها كألوية كما ذكرنا سابقاً (ص ٥٤١) عن راية بني تغلب الممثّلة لمار سرجس . ومن هذا القبيل راية العُقاب التي اتّخذها خالد بن الوليد في اوّل عهد الاسلام (اطلب ياقوت ٣ : ١٩٠ — ٦٩١) دُعيت بذلك لصورة عُقاب كان منسوجاً فيها

وممّا يدخل في هذا الباب نقود نصرانيّة عليها صور ملوك وقديسين اتّخذها اولياء الامور والخلفاء في اوّل الاسلام فطبعوا عليها شعارهم او عبارة قرآنيّة يوجد منها شيء في المتاحف الكبرى . وقد ذكرنا في عدد سابق نقوداً للسلجوقيين وللأرتقيين مصوّرة فيها صور ملوك الروم او اوليائهم وبعضها يمثّل شخص السيّد المسيح وامّه الطاهرة (ص ٧٩٩)

وبالاجمال يمكننا القول بانّ فنّ التصوير لولا الصَنَعة النصارى في انحاء الشرق كان فُقد بعد ظهور الاسلام لانّ اصحابه استنكفوا من صناعة التصوير لما وجدوا فيها من المثرة وخطر الشرك ولستنادًا الى ما رُوي في الحديث : « انّ الملائكة لا تدخلُ بيتاً فيه

كلبٌ او تصاوير • وانهُ « اشدّ الناس عذاباً عند الله المصوّرون » وانَّ « كلّ مصوّر في النار» فكسد لذلك فنّ التصوير بين المسلمين الّا العجم منهم الى أن عادوا فاتّخذوهُ زينةً وفرقوا بين صور العبادة وغيرها . ولا شكّ انهم التجأوا الى النصارى فتعلّموها منهم . وبرع فيها بعض المسلمين كالكتاميّ والنازوك والقصير وابن العزيز الذين ذكرهم المقريزي في كتاب الخطط (٢ : ٣١٨) في وصف جامع القرافة وذكر شيئاً من اعمالهم . وقد قال العلّامة غايه (Al. Gayet) في كتابه الصناعة العربيّة (ص ٢٥٠—٢٥٢) «ان ما يوجد في مصر من آثار التصوير والحفر والاشغال الخشبية ونقوش الانسجة والزجاج كلّها مأخوذة عن الصّنَعة الاقباط الذين علّموا هذه الفنون المسلمين في مصر كما يقرّ به المسلمون انفسهم

(له بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Le V^te de Noailles : Souvenirs d'Amérique et d'Orient. *Paris*, 1920, *in-16, pp.238 . Edit. franç. de la Nouvelle Revue Nationale*

تذكارات اميركة والشرق

الفيكونت دي نوايل من مشاهير كتبة التاريخ له فيه آثار حسنة نالت امتيازات الاكادمية الفرنسويّة . والكتاب الحاضر هو مجموع عدّة مقالات نشرها في جرائد فرنسة ومجلّاتها في سنين مختلفة عن اميركة وعن مصر فضمّ شتاتها في هذا الكتاب خوفاً من ضياعها وكفى بذلك تنويهاً بفوائدها وبفضل كاتبها

Lasies (J.): La Tragédie Sibérienne. *in-16, pp.* 256 *et* 22 *Photogr., Paris. Edit. Françaises illustrées*

المأساة السيبريّة

انّ الفوضى التي تغلّبت على بلاد روسيّة عموماً وعلى مقاطعات سيبرية خصوصاً

بواسطة لينين ومشايعيه دفعت فرنسة الى ان تُرسل الى تلك الجهات بعثةً من جنودها تحت قيادة الجنرال جانين لمراقبة الامور ومساعدة الاميرال كولتشاك ضد السوڤيات البولشيكيين. وكان يرافق الجنرال الكومندانُ لازي احد مندوبي مجلس الشعب سابقاً . وهو مؤلف الكتاب الذي نحن بصدده فيصف ما جرى في سيبرية بعد نهاية الحرب مع المانية ونهضة السوڤيات . وهو يرى على خلاف اهل دولتهِ والرأي العام السائد بين ارباب الجرائد ان الاميرال كولتشاك لا يستحق اعتبار الفرنسويين لتطرُّفهِ واستبدادهِ ولذلك دارت عليهِ الدوائر في ١٧ ايار سنة ١٩١٩ . اما السوڤيات على قولهِ فانَّ من صالح فرنسة مجاملتهم وعقد الصلح معهم لئلَّا تفقد كنوز روسيَّة التجاريَّة . وعلى كلّ حال يجب على دولتهِ مدُّ يد المساعدة لزمستوس زعيم الشعب والعَمَلة . فهذه الآراء لم تجد في دوائر الحكومة الفرنسويَّة اذناً صاغية ولاسيَّا بعد ما شاع من فظائع السوڤيات اما زِمستوس فلا يُركَن اليهِ . والاحوال لا تزال في ارتباك عظيم . ومهما استدعت افكار الكومندان لازي من التحفُّظ لا يُنكر انَّ في كتابهِ معلومات كثيرة صادقة وفوائد جمَّة منها ما رواهُ من بسالة جنود اليوغوسلوڤاك وما قرَّرهُ من مطامع انكلترة التي ينسب اليها الحركة البولشفيَّة لكسر شوكة روسيَّة ومنها من التشكُّك على الاستانة بموجب معاهدة بين القيصر وللدولة الفرنسويَّة . ومنها ايضاً ما اثبتهُ من نخوة فرنسة ومروءتها في اخماد الثورة في روسيَّة وما انفقتهُ من المال لهذه الغاية بصفة جنود واسلحة وذخائر حربيَّة واطعمة والبسة لمساعدة كولتشاك ما يبلغ مليارًا من الفرنكات . وفرنسة لا تكاد تحسب لذلك حساباً بينا الجرائد الانكليزيَّة طبَّلت وزمَّرت لارسال الحكومة البريطانيَّة كسوة عشرة الاف جندي الى سيبريَّة وانَّما فعلت ذلك على حساب فرنسة ! . ويرتأي الكومندان لازي انَّ القيصر نيقولا الثاني قُتل رمياً بالرصاص لكنَّ الاسرة الملكيَّة لا تزال في قيد الحياة

الاب كستاكيس

J. Ghersi : Recettes utiles. Paris. Gauthier-Villars. in-16. pp. 507

وصفات صناعيَّة مفيدة

يحتاج الناس ولا سيَّا العامَّة منهم الى معارف عديدة لم يهتمُّوا بدرسها ولا ندحة

لهم منها صباحَ مساء. لا سيّما في امور البيت من مآكل ومشروبات واثاث وملابس ومن اشغال صناعيّة وتحسين ادوات او اصلاحها وهم لا يعرفون احدًا يرشدهم الى مطلوبهم. فهذا الكتاب يسدّ حاجتهم قد صنّفهُ احد الاختصاصيّين ورتّب موادهُ على طريقة حروف المعجم ليسهل على القرّاء مراجعتها وضمّنهُ خلاصة العلوم الكيمويّة فلم يكد ينسى شيئًا ممّا يبحث عنهُ العموم في ايّ صنعة كانت حتّى ان فهارس موادهِ وحدها تستغرق ٢٠ صفحة وكفى بهِ دليلًا على منافعهِ الجليلة فلا يستغني عنهُ ارباب البيوت والصنعة

ل.

Pierre Ghaleb : Le Protectorat religieux de la France en Orient, *Avignon, Aubanel Frères*, 1913. *in* - 16, *pp.* 217

حماية فرنسة الدينيّة في الشرق

يقول المثل انّ الفضل للسابق. وقد سبق حضرة مؤلّف هذا الكتاب الخوري بطرس غالب سواهُ من السوريين في البحث من حماية فرنسة النصرانيّة في الشرق وقد أثبت بالادلّة ما جعلهُ محورًا لكلامهِ انّ الطوائف المسيحيّة دون توسّط فرنسة كانت دخلت في خبر كان. وممّا يُثنى عليهِ الثناء الطيّب وضوح عبارتهِ واعتمادهُ على التآليف الاصلية ومراجعتهُ للآثار الخطيّة في خزائن الخاصّة. وقد اصاب في وصفهِ لبلايا النصارى وضيقاتهم في الايّام الغابرة ودلّ على ما عرفهُ من لسانها والمّهُ ونثق ببعض الكتبة المحدثين ثقةً زائدة اذ كتبوا دون اطّلاعهم على مآثر عديدة ظهرت في ايّامنا. فمن ذلك ما نسبهُ الى بني اميّة من الاساءة الى النصارى فانّ دروسنا الخاصّة اظهرت لنا انّ حالة المسيحيين بالاجمال كانت في عهدهم معتدلة محتملة. ثم ما رواهُ حضرتهُ (ص ١٧) عن عبد العزيز بن مروان (والصواب ابن عبد العزيز) ليس المقصود منهُ هناك وسمًا على اليد وانّما كان قطعةً من الرصاص يعلّقها على ايدي الرهبان. ثم يُصلح (ص١٨–١٩) عمرو بعُمَر وهو الخليفة وابن الخطال بابن الخطّاب وهاشم بهشام خليفة يزيد. وكذلك لم يكن مروان الثاني يهوديّ المحتد وانّما كانت امّهُ كرديّة. فهذه وغيرها دقائق لا تمسّ بشيءٍ محاسن الكتاب ولا تبخس بفضل كاتبهِ

ل. لامنس

Praf. D. B. Cattan: La Chiesa di S. Maria in Domnica detta volgarmente « della Navicella », *Roma*, 1918, *pp.* 25

كنيسة السفينة

ليس هذه المرّة الاولى يذكر المشرق كنيسة رومية الشهيرة المعروفة بالسفينة (اطلب المشرق ٣ : ١٠٦٧ — ١٠٧٠ و ٤ : ٥٦٦ — ٥٦٩) وانما كان ذكرها مختصراً وعرضاً . وهذه الكنيسة كما ورد هناك قد اعطاها الكرسي الرسولي الرهبانية القانونية الباسيلية (البلدية) في تاريخ ٢٣ تموز سنة ١٧٣٤ فيها قد مرّ عليها في ايدي الرهبانية الوما اليه ١٨٦ سنة . قد رُمّمت وأُصلحت مراراً بهمّة رؤسائها وإحسان بعض الكرادلة . وهي اليوم من ابدع كنائس رومية واقدمها واغناها بالآثار الصناعية من نقوش وتصاوير فضلاً عمّا اشتهر من الساكنين في حماها . فتتبّع حضرة الاب باسيل قطّان تلك الآثر كلّها فجمعها في هذا الكرّاس بنسبة تعيين نيافة الكردينال نيقولا ماريني محامياً لها . وقد اطلعنا عليه بكل رغبة ووجدنا فيه من الفوائد ما يدلّ على سعة علم كاتبه ويبيّن عظم شأن هذا الاثر النفيس الذي جاد به كرم الاحبار الرومانيين على الرهبان الملكيين فكان كشاهد حيّ على محبّتهم للطوائف الشرقية عموماً وللرهبان الباسيليين خصوصاً

ل . ش

E. J. W. GIBB MEMORIAL: XVI, 2, TARIKH-I-JAHAN GUSHA OF JUWAYNI, ed. by **Mirza Muhammad Qazwini**, 1916, in-8, pp. XVI + ٣٥٨ + ٨٠ = III 5, THE PEARL-STRINGS: A HISTORY OF THE RESULIYY DYNASTY OF YEMEN by **Aliyy' ubnu'l-Hasan el-Khazrejiyy.** The Arabic text ed. by **Shaykh M. Asal** with Indices by **R. A. Nicholson**, 1918, in-8 pp. XV + ٤٨٦

تاريخ جهان كشاي (الجزء الثاني) — العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية (الجزء الخامس)

هذان الأثران ايضاً من مطبوعات جمعيّة المرحوم جب طُبعا في زمن الحرب . وقد وصفنا اوّلهما في المشرق (١٦ [١٩١٣] : ٦٣١) وبيّنّا ما يختصّ بصيته ومضامينه ولغته . وهذا هو الجزء الثاني منه قام بنشره الاديب محمّد بن عبد الوهّاب قزويني من علماء العجم وقدّم عليه الحواشي اللغويّة وختمه بالفهارس المستوفية . اما مدار

هذا القسم فهو على تاريخ دولة سلاطين خوارزم شاه فاتسع في وصف احوالها وتقلّباتها . وللعلّامة المستشرق الانكليزي ادوار برَون عليه مقدّمة قصيرة بالانكليزيّة . وفي ضمن الكتاب اربع صور منقولة عن احدى النسخ تمثّل الاولى موت السلطان محمود خوارزمشاه والثانية حرب جلال الدين منكوبرتي مع الكرج والثالثة أسر المغول للملكة تركان خاتون والاخيرة جلوس سلطان المغول منكو قاآن

وكذلك ورد في المشرق (١٧ [١٩١٤] : ٣١١) وصف الجزء الاوّل من تاريخ الدولة الرسوليّة في اليمن للشيخ علي الخزرجي والجزء الحاضر يتناول ثلاثة ابواب منه : الباب السادس (١—١٢٦) في ذكر الدولة المجاهديّة . ثم الباب السابع (١٢٧—١٦٢) في ذكر قيام الدولة الافضلية ووقائعها واخيرًا الباب الثامن (١٦٣—٣٢٠) في قيام الدولة الاشرفيّة الكبرى الى وفاة الملك الاشرف اسمعيل سنة ٨٠٣ ه (١٤٠٠ م) . وهذا التأليف يسدّ ثلمةً عظيمة في تاريخ اليمن . وقد نقله الى الانكليزيّة المستشرق السر ردهوس (Sir J. W. Redhouse) في ثلثة مجلّدات واصلح عدّة اغلاط وقعت في النسخة العربيّة . امّا الفهارس فقد تولّى عملها الاديب نيكولسن (R. A. Nicholson) وصدّر العلّامة برَون (E. G. Browwn) هذا الجزء بمقدّمة حسنة في الانكليزيّة . فنشكر كلّ من اشترك في ابراز هذا التأليف الى النور ونحضّ محبّي تاريخ جزيرة العرب على اقتنائهِ ل . ش

الاختزال او الاستنغرافيا

بقلم سليمان البستاني صاحب الياذة هوميروس

عني بنشرهِ توما يوسف البستاني في مصر سنة ١٩٢٠ (ص ٢٧)

صار الشرقيّون بفضل المزاحمة والاختلاط بالغربيين يعرفون فضل الوقت (time is money) ومن المعلوم انّ الوقت في بعض الاحوال قصير يحتاج الناس الى عمل كثير في مدّته لا سيّما في المجالس العموميّة والادارات السياسيّة وفي المدارس والنوادي الادبيّة حيث يجب السامع ان يحرز كلام الخطباء والاساتذة بحرفهِ فلا طريقة الى ذلك سوى الاختزال . وما ادراك ما الاختزال ? كلمة وضعها معرّب الالياذة دلالةً على طريقة مختصرة الكتابة يجاري فيها الكاتب سرعة الخطيب في كلامهِ

فيمكنهُ ان يلتقف ذلك الكلام ويدوّنهُ دون ان يخترم منهُ حرفاً . وهذه الصناعة جارية منذ زمن طويل في الخارج اوربَّة فاحبَّ العلّامة الاديب سليمان افندي البستاني ان تنتشر ايضاً في الشرق فوضع هذا الكتاب لترويجها فاستحقَّ بعملهِ شكر كلّ من يُعنى برقي الاوطان وصالحها

المذكرة اللغوية

واضعهُ عازر ارمانيوس

طُبع في المطبعة المدرسيَّة الاهليَّة بالقاهرة (١٩٢٠ ص ١٤٣)

هو مجموع لغوي يحتوي نحو ٣٠٠٠ كلمة على ترتيب احرف المعجم وضعهُ اليوزباشي الاجزجي بالجيش المصري عازر ارمانيوس واودعهُ اهم مفردات الممالك الطبيعيَّة الثلث باللغات العربيَّة والفرنسيَّة والانجليزيَّة مع شرح وجيز المفردات فهو مفيد لطلبة المدارس وخصوصاً للصيادلة

سفر الاحزان في مصائب سوريا ولبنان

لخليل اسعد سركيس

طُبع في سان باولو سنة ١٩١٦ (ص ٨٧)

بيّنا مراراً ارتياحنا الى مصنفات بعض ذوي الذكاء من اللبنانيين في اللغة العاميَّة نثراً كان او شعراً . فهذا اثر جديد من ذاك الصنف للقوَّال خليل اسعد افندي سركيس نشرهُ في المهجر وقد افتتحهُ بمديح الارزة التي تزين العلم اللبناني ثمَّ اودعهُ بعدهُ زجليات اخصّها ما قالهُ في مصائب لبنان في زمن الحرب وفي تحريرهِ من النير التركي . وغير ذلك من المواضيع العصريَّة . وقد استحسنَّا خصوصاً زجليتهُ في مدح فرنسة المحبوبة ل . ش .

هدايا أُرسلت الى المجلّة

(١ المرشد الظريف في طالع الجنس اللطيف تعريب حنا اسعد فهمي . مصر ١٩٢٠ (ص ٢٢٠) نحن ممَّن يقولون في الكتاب « حديث خرافة » (ص ٥)

(٢ الدرَّة الثمينة في عرافة الكوتشينة . تعريب المذكور . مصر ١٩٢٠ (ص ١٣٧) . حديث خرافة بل اضغاث احلام

٣) القوّة الفكريّة في المغنطيسيّة الحيويّة. تعريبهُ ايضاً بمصر ١٩٢٠ (ص ١١٦) هذه ثالثة الاثافي

٤) Liste des Personnes désignées par les Puissances Alléées pour être livrées par l'Allemagne

٥) B^on Curra de Vaux : Tableau des Racines Sémitiques (arabe-hébreu) accompagnées de comparaisons (lithographié)

—: Notes d'Histoire des Sciences, *Paris*, *Imprimerie Nationale* 1917 (Extrait)

—: Sur l'Origine des Chiffres, *Bologne*, 1917 (Extrait)

O. G. v. Wesendonk : Die Religion der Drusen, *Berlin*, 1920 (Extrait de DER NEUE ORIENT)

شذرات

﴿ رئيس جمهوريّة فرنسة الجديد ﴾ اختصرتُ في العدد الخامس من المشرق (ص ٣٢٤) تاريخ الجمهوريّة الفرنسويّة الاولى والثانية والحاليّة واثبتُّ اسماء رؤساء الجمهوريّة الثالثة مع خلاصة تاريخهم ولم يكن يخطر حينئذٍ على بال احد انّ المرض سيضطرّ قريباً المسيو ديشانل الى الانسحاب من عالم السياسة وهو يوم انتخابهِ متمتّع بالصحّة الكاملة ومشهور بمداركهِ السامية لكنّ متاعب سنوات الحرب الاربعة وما وجدهُ من المعاكسة من اشياع المسيو كليمنصو اثّرت في قواهُ العقليّة لاسيّما بعد سقوطهِ من نافذة قطار السكّة الحديديّة فاستقال بعد ان شغل منصبهُ الرفيع سبعة اشهر وخمسة ايام. فاجتمع اعضاء مجلسَي الامّة مع الوزارة وسمعوا وكلّهم وقوف خطاب استقالتهِ. وفي ٢٣ ايلول ١٩٢٠ كان عهد اجتماع الندوتين في فرسايل لانتخاب رئيس جديد فتمّ الامر واقترعوا بموجب قوانين الدولة تحت نظارة المسيو ليون بورجوا رئيس مجلس الشيوخ فنال المسيو اسكندر ميلران رئيس الوزارة ووزير الخارجيّة اكثرية الاصوات اي ٦٩٥ صوتاً من اصل ٨٩٢ مجموع المنتخبين. فكان يوم انتخابهِ ابتداء تاريخ رئاستهِ وهو الرئيس الحادي عشر للجمهوريّة الثالثة وقد عهد برئاسة الوزارة مع وزارة الخارجيّة الى المسيو جورج لايغ وثبتت بقيّة الوزارة في مراكزهم. وُلد الرئيس الجديد سنة ١٨٥٩ وهو اصغر من سلفهِ بثلث سنين واكبر من المسيو بوانكاره بسنة واحدة. وقد ابتدأت حياتهُ السياسيّة سنة ١٨٨٥ حيث

انتُخب نائباً لمجلس الأمة عن مدينة باريس وفي السنة ١٩١٢ تولّى وزارة الحربيّة فسعى طاقة جهده لإحياء قوّة الجيش المعنويّة واعداد ما يلزم لاستئناف قانون خدمة الثلث سنوات . وفي اثناء الحرب كان زعيماً للدفاع الوطني . وبعد الهدنة صار قوميسيراً للجمهوريّة في الالزاس واللورين ثمّ خلف السيو كليمنسو في رئاسة الوزارة ووزارة الخارجيّة فاشتهر بحزمه وحسن سياسته واصلح ما اختلّ من الامور لضعف سلفه فنالت فرنسة على يده ما يحقّ لها من القوّة والاعتبار في سياسة العالم خصوصاً في سوريّة وبولونية والمانية . فنتمنى لفرنسة في ايامه مزيد الهناء. سليم الدحداح

﴿ الاكليروس الفرنسوي في الحرب الكونيّة ﴾ كان اعداء الدين قبل الحرب ينسبون زوراً الجبن والفشل الى الاكليروس فكانت الحرب العموميّة الاخيرة احسن جواب على هذه الترّهات والتهم الكاذبة فانّ الاكليروس عموماً العالميّ والقانوني في جميع الدول المتحاربة وخصوصاً في فرنسة اظهر من النخوة والبسالة والتفاني ما ادهش العالم باسره مباشرةً بالسيو كليمنسو الذي هنّأ الكردينال أميت عمّا احرزه الاكليروس من المجد بتصرّفه في وقت الحرب . ومثله رئيس الولايات المتّحدة السابق السيو روزقلت فانه اعلن مرّتين في اجتماعات رسميّة انّ « الاكليروس والرهبان الفرنسويين كانوا في مقدّمة الجميع حيثما دعت الحاجة اليهم سواء كان في ساحة القتال او في خدمة الجرحى فلا يفي بحقّهم اعطر الثناء » . ومن الادلّة على مروّتهم انّ ٣٦٤٥ اكليريكيّاً وقعوا في ساحة الشرف نعرف منهم ١٦٢ راهباً يسوعيّاً فنالت الرهبانيّة اليسوعيّة شرف السباق على بقيّة الرهبانيّات يليها أخوة المدارس المسيحيّة الذين قُتل منهم في ميدان الوغى ١١٥ راهباً ثمّ الاخوة المريميّون ٩٤ ثمّ الترابيستيّون ٥٨ ثمّ رهبان الروح القدس ٥٢ ثمّ الآباء البيض ٤٨ الخ . امّا الاوسمة والامتيازات الشرفيّة والجوائز الرسميّة التي نالها الرهبان والاكليريكيّون والراهبات في هذه الحرب فانّها تُعدّ بالألوف ومن شأنها ان تُفحم كلّ من يُعميه الغرض فينكر على ارباب الدين سبقهم الى اشرف الغايات في سبيل الوطن وطلباً لوجه الله

﴿ فقيد العلوم الشرقيّة ﴾ علمنا بالاسف وفاة احد كبار المستشرقين الانكليز الذي خلّف عدّة آثار في خدمة الآداب العربيّة ألا وهو الوجيه السر شرل جمس ليال (SirCh. J. Lyall) وُلد في ٩ آذار ١٨٤٥ وتوفي في غرّة ايلول ١٩٢٠ . له

مقالات عديدة في الفنون العربيّة نشرها خصوصاً في المجلّة الملكيّة الاسيويّة في لندن وممّا عُني بنشره ايضاً شرح المعلّقات لابي زكريّا التبريزي سنة ١٨٦٦ في كلكوتا وديوانا عبيد بن الابرص وعامر بن الطفيل مع ترجمتها الى الانكليزيّة (المشرق ١٤ [١٩١٧] : ٢٤١) وديوان عمرو بن قميئة (ص ١١٨–١٢٨) وقد انجز مؤخّراً طبع شرح المفضّليات لابي بركات الانباري في مطبعتنا ولم يألُ جهداً في اتقانه واستيفاء محاسنه . وقد شهدنا له همّتهُ وسعة علمهِ بالآداب العربيّة وحسن نظره في شرح مشاكلها اللغويّة فضلاً عن اريحيّتهِ وكرم اخلاقه . رحمهُ الله رحمةً واسعة

﴿كنيسة الجسمانيّة القديمة﴾ كان الآباء الفرنسيسيّون اكتشفوا قبل بضع سنين آثار كنيسة قديمة ترقى الى القرون الوسطى أُقيمت ذكرًا لنزاع السيّد المسيح في الجسمانيّة فارادوا ان يحيوا ذكرها ويشيدوا في مكانها كنيسة جديدة فجاءت الحرب وحالت دون مرامهم . واذ حاولوا هذه السنة استئناف العمل وباشروا في الحفر لوضع الاساس وجدوا تحت هذه الكنيسة آثار بيعة اخرى اقدم منها عهدًا لا يبعد ان تكون من القرن الرابع او الخامس للميلاد . وقد وجدوا هناك بلاطاً من الفسيفساء والنقوش المختلفة يبلغ طولهُ نحو ١٣ مترًا

﴿مناجم الالماس في الترنسفال﴾ قد حسب ارباب مناجم الترنسفال ما استخرجوهُ من الالماس منذ خمسين سنة اعني منذ اكتشافها واستثمارها فوجدوا انّ مجموع ما استُخرج منهُ في حالته الطبيعيّة قبل تنقيته يبلغ ٢٨ طنّاً ويساوي خمسة مليارات ونصفاً من الفرنكات

﴿ايضاح عبارة﴾ مرّت لنا في انتقادنا على كتاب تقاليد لبنان للمسيو وِسْتِلْبُوير (ص ٧٦٢) عبارة استغلق فهمها على بعض القرّاء بخصوص ما كتبهُ هذا الاديب في القديسين مار مارون ومار يوحنا مارون فانهُ نسب في كتابه (ص ٩٦) الى مار مارون ما كتبهُ ابن بطريق في مار يوحنا مارون فنبّهنا فكرهُ الى غلطه وقلنا له انّ لا احد تعرّض لقداسة مار مارون . وانّ ما نسبه على ابن بطريق هو مار يوحنا مارون (وقد دعاهُ ايضاً مارون) وانّما فنده الموارنة

ـــ اصلاح غلط ـــ في الصفحة ٨٩٦ س ١٥ قيل انّ عيد مار جرجس عند الروم وافق ١١ نيسان شرقي والصواب انهُ في تلك السنة وافق ٢٣ نيسان شرقي و ٦ ايار غربي

أسئلة وأجوبة

س سأل الشماس الياس غالي الجوي ما يُعرف عن اصل وتاريخ مدينتي آطنة ومرسين

آطنة ومرسين

آطنة والصواب أدنة او أذنة مدينة اسلامية أُنشئت في اوائل الدولة العباسية . وكان هناك مدينة قديمة قد خربت اسمها انطاكية صارُم او سيحون Antiochia) (ad Sarum كان بناها انطيوخس الرابع المعروف بابيفانوس على نهر سيحون فجدد العرب بناءها لحسن موقعها . اما مَرسين فمدينة محدثة وعلى شاطئ البحر المتوسط لم يكن فيها قبل ثمانين سنة غير اكواخ لبعض الباعة والصيادين قريباً من مغارس المرسين وهو الآس (μυρσίνη) فدعيت بهِ والنا كان في محلها مدينة قديمة تُدعى صولي (Soloe) شيّدها الفينيقيون لتجارتهم . ثمَّ عمّرها القائد بومبيوس واتّل فيها الذين كان اسرهم من قرصان البحر ودعاها باسمه بومبيوبوليس

س وسأل مستفيد من مصر اصحيح ان رسالة تهذيب الاخلاق التي أُثبتت في مجموعة الرسائل (ص ١٢٥-١٨٤) المطبوعة في مصر سنة ١٣٢٨ في مطبعة كردستان العلمية على نفقة الشيخ محي الدين صبري هي للشيخ الاكبر محي الدين العربي

رسالة تهذيب الاخلاق

ج قد اخذنا العجب من نسبة هذه الرسالة لمحيي الدين بن العربي ومنها نسخ خطية سبقت زمن محي الدين . والصواب انها لابي زكريا يحيي بن عديّ الفيلسوف النصراني اليعقوبي المتوفى سنة ٩٧٥ للمسيح . وله تآليف فلسفية عديدة وقد طُبعت هذه الرسالة مصدَّرة باسمهِ في بيروت بالمطبعة العمومية سنة ١٨٦٦ وكذلك طُبعت في مصر بالمطبعة القبطية الاهلية سنة ١٠٨٨ للشهداء . وفي مكتبتنا الشرقية منها نسختان وكلتاهما تنسب الرسالة الى ابن عديّ

ل . ش